80 يوما حول العالم

(Le Tour du monde en quatre- vingts jours)



جول فيرن



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســـم الكتاب : ٨٠ يومًا حول العالم

المـــــؤلف : جول فيرن

رقـــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١١

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميــدان حليـــم خلـــف بنـــك فيصـــل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_٥@yahoo.com

الراوي .. والرواية

يجدر بنا قبل أن نتطرق إلى أحداث هذه الرواية الممتعة أن نتعرف أولاً على كاتبها الأديب الفرنسي الشهير

من هو جول فيرن (Jules Verne)؟

جول فيرن هو أحد أ شهر الأدباء الفرنسيين في القرن التا سع عشر.. يمكننا أن نطلق عليه لقب «أبي الخيال العلمي» فهو الرائد الحقيقي لهذا اللون من الأدب.. ويُنسب إليه الفضل في تأسيسه.. وفي عام ٢٠٠٥ شارك العالم أجمع فرنسا في الاحتفال بمرور مائة عام على وفاته في احتفالية خاصة.

وُلِدَ جول فيرن في ولاية نانت بفرنسا عام ١٨٢٨ وهناك نشأ في بدايات حياته..وفي مراحله التعليمية الأولى اهتم كثيراً بعلوم الفلسفة والبلاغة.. وكان كثير التردد على المكتبة الوطنية للقراءة والاطلاع.. فجذبه عالم العلم والاكتشافات الجديدة.. وتأثر بها تماماً فانعكست على كتاباته كما سنرى.

لكنه رغم كل ذلك لجأ لدراسة القانون في مرحلته الجامعية.. في الغالب تبعاً لرغبة والده الذى كان يعمل محامياً على أمل أن يخلفه ابنه في سلك المحاماة.. ولكن كان لأديبنا الفرنسي رأيٌ آخر.. فبعد أن أنهى دراسته لعلوم القانون في باريس في نوفمبر ١٨٤٨ اتجه بكل ثقله إلى عالم آخر بدأ يستهويه بشدة وهو عالم الأدب.. والشعر.. فبدأ ينظم القصائد.. وحاول أن يبتكر شيئاً جديداً فكتب التراجيديا بشكلٍ شعرى.. ثم بدأ يكتب قصصاً وروايات عن رحلات و سفريات ابتدعها من خياله الخصب.. ويصوغها في إطار علمي بحت.. بعضها كان يحمل روح التنبؤات العلمية.وفي نفس الوقت كان لديه اهتمام كبير بعالم المسرح.. وكان على علاقة قوية تربطه بالكاتب والروائي ألكسندر دوما[1] الذي وافق على عرض إحدى

---

(١) Alexandre Dumas ألكسندر دوماس أو دوما الأب من (مواليد ٢٤ يوليو عام ١٨٠٢). هو كاتب وروائي فرنسي شهير.. يعرف بقصصه التاريخية المليئة بالإثارة والمغامرة والتي= =جعلت منه واحداً من أشهر الكتاب الفرنسيين في العالم.. كما ألف العديد من القصص الشهيرة مثل (الكونت دي مونت كريستو) و(الفرسان الثلاثة) كتب أيضاً العديد من المسرحيات والمقالات.. ولد في قرية في شمال شرق باريس تسمى فيلير كوتجى كان جده من النبلاء وتزوج من فتاه من الكاريبي ذات أصول أفريقية.. كان والده جنرال في جيش نابليون.. أصابته حمى فأقعدته وبعد فترة مات على أثرها تاركاً عائلته في ظروف مادية صعبة...وكان وقتها ألكسندر في الثالثة من العمر .. وحاولت أمه أن تجعله يكمل دراسته ولكن صعوبة الظروف المادية حالت دون ذلك.. وكان ألكسندر شغوفا بالقراءة منذ صغره وكان يقرأ كل ما تصل إليه يداه.. وفي عام ١٨٢٢ انتقل دوما إلى باريس وساعدته أصوله الأرستقراطية فى الالتحاق بوظيفة في القصر الملكي في مكتب الدوق لويس فليب دوق أورلين. ومن ثم عمل في بلاط ملك فرنسا لويس فيليب (Louis Philippe) وفي أثناء عمله في باريس بدأ ألكسندر الكتابة وكانت أولى كتاباته مسرحية (هنرى الثالث وبلاطه) ولاقت المسرحية نجاحاً جماهيرياً كبيراً.. وفي العام التالى حققت مسرحيته التالية (كريستين) نجاحاً مماثلاً مما جعله قادراً مادياً على التفرغ للكتابة... وبعد سقوط الملك لويس فيليب في انقلاب.. وعدم محبة الرئيس المنتخب وهو لويس نابليون بونابرت له ا ضطر للسفر إلى بلجيكا ومنها إلى رو سيا التي كانت اللغة الفرنسية هي اللغة الثانية فيها فكانت مؤلفاته تحظى بشعبيه كبيرة...وعاش دوماس عامين في روسيا .. ثم عاد إلى باريس في عام ١٨٦٤. وألف بعض الكتب عن التاريخ الفرنسي... وأدب الرحلات.. وبعد وفاته في ٥ ديسمبر ١٨٧٠دُفِنَ في مقابر قريته وفي عام ٢٠٠٢ أمر الرئيس جاك شيراك بنقل رفاته في تابوت جديد مغطى بقماش مخملى أزرق ..وفي جنازة نقلها التليفزيون وفي حرا سة أربعة حراس يرتدون ملابس مثل ملابس الفر سان في قصته الشهيرة «الفر سان الثلاثة» شُيع إلى مقبرة العظماء في باريس...كما تحول بيته خارج باريس إلى مزار وتم فتحه للجماهير.

مسرحياته في عام ١٨٥٠على مسرح (Théâtre historique)حيث عُرِضَت مرتين فقط.. بالرغم من النجاح الكبير الذي حققه هذا العمل فإن سبب عدم استمرار عرضها مجهول حتى الآن.

بدايته كأديب

أغلب موضوعات «جول فيرن» كانت تدور حول الاختراعات العلمية التي ظهرت في عصره المسمى بعصر الثورة الصناعية خلال القرن التاسـع عشر.. وكان هو أكثر من تأثر بما أحدثته من طفرات في المجتمعات الغربية.. بالإضـافة إلى المخترعات الخيالية التي كان يتنبأ بها متوقعاً ظهورها لخدمة الإنسـانية.. وهذا اللون الأدبي بالإضـافة إلى المغامرات.. والرحلات من أكثر القوالب المحببة والجاذبة للقراء.

وإلى «جول فيرن» تُعزى الريادة في ذلك المضمار الأدبي الجديد آنذاك.. والذى سيصبح فيما بعد من أكثر القوالب الأدبية جذباً للقراء.. والبداية كانت من خلال خروج روايته الشهيرة (خمسة أسابيع في منطاد) للنور وكان ذلك عام ١٨٦٣.

وعندما لاقت هذه الرواية كل هذا القدر من النجاح وَقَّعَ معه الناشر[٢] عقداً لمدة عشرين سنة لنشر أعماله التى توالت بغزارة فيما بعد.

الأديب المستكشف

كان من بين اهتمامات «جول فيرن» القيام برحلات استكشافية للعديد من المناطق المختلفة أخذت من عمره أربعين عاماً كاملة.. نشر وقائعها في أربعة وخمسين كتاباً.. لذلك نراه عام ١٨٦٨ يشترى مركباً ليستخدمه في تنقلاته وسفرياته سماه سان ميشيل (Saint-Michel) .

ثم تندلع حرب ١٨٧٠ فلا يتوقف عن الكتابة.. وينتقل عام ١٨٧٢ لمدينة «أميان» مسـقط رأس زوجته.. وهناك يكتب رائعته «حول العالم في ثمانين يومًا» بعدها في عام ١٨٧٤ يشترى مركبه الثاني سان ميشيل الثاني (Saint- Michel II)

ثم اشترى مركبه سان ميشيل الثالث (Saint- Michel III) بدايات عام ١٨٧٨ وعلى ظهر هذا المركب أبحر خلال الفترة من يونيو من نفس العام من ليسـبون إلى الجزائر.. ثم إلى إسـكتلندا.. فالنرويج.. فأيرلندا (Irlande) حيث كانت نهاية الرحلة عام ١٨٨٠م.

بعدها قام بجولة كبيرة في البحر الأبيض المتوسط برفقة زوجته عام ١٨٨٤م.

---

(٢) هو الناشر الفرنسي الشهير بيير-جول (Pierre-Julesl).

محاولة اغتيال فاشلة

وفي عام ١٨٨٦ تعرض جول فيرن على يد ابن شـقيقه وكان يدعى (تى جاسـتون) لمحاولة اغتيال فاشـلة.. حيث ذهب إليه ابن أخيه وطلب منه مالاً.. وعندما لم يجبه لطلبه أطلق عليه رصاصتين من مسدسه.. الأولى أخطاته ولكن الثانية أصابته في ساقه.. وأصبح بعد ذلك أعرج..

في عام ١٨٨٨م أُنتُخِب في مجلس ولاية أميان البلدي كعضو يساري معتدل وخدم في المجلس خمسة عشرة سنة.

وفي عام ١٩٠٠م أُصيب بمرض الماء الأزرق في عينه[٣]»

في بداية عام ١٩٠٣م ترأس جماعة الإسبيرانتو[٤] في أميان وكان يدافع بشدة عن هذه اللغة العالمية الجديدة.. ووعد أصدقاءه بكتابة رواية تصف أهمية تلك اللغة ولكنه توفي قبل أن يُكملها.. فأخذ ابنه ميشيل مسودة الرواية وحاول إكمالها.. ولكن الشكل النهائي للرواية لم يشر إلى الإسبيرانتو.

وفاته

في عام ١٩٠٥م أُصيب بـــــ مرض السكر.. وكان المرض قد تمكن منه فتوفي يوم ٢٤مارس من نفس السنة في منزله بقلعة لونوفيل التى تُدعى اليوم قلعة جول فيرن.

مؤلفاته

يصـعب حصرـ ما كتبه «جول فيرن» من روايات وأعمال أدبية؛ لأنه كمؤلف كان غزير الإنتاج.. لكنها بأي حالٍ من الأحوال لا تقل عن مائة عنوان.. والمُلاحظ أن العديد من كتبه لم تُنشر في حياته.. لكن تم نشرها بعد وفاته عن طريق ابنه ميشيل الذي أخذ على عاتقه مسؤولية تنقيح مخطوطات اليد ونشرها.. ومن أهم وأشهر هذه الأعمال:

---

(٣) مرض يصيب عدسة العين ويمنع الإبصار.

(٤) الإسـبرانتو هى لغة مصـطنعة اخترعها عام ١٨٨٧ شـخصٌ يُدعى (لودفيج أليعازر زامنهوف) كمشرـوع لغة اتصـال دولية أخذ يعمل على تنقيح وتطوير فكرته ما يقارب العشر سنوات.. وضمنها في كتاب بعنوان (نحو الإسبرانتو) ونشره في وارسو في شهر يوليو من عام ١٨٨٧ وبعد فترة ازداد بسرعة عدد المتحمسـين لاسـتخدام اللغة المسـتحدثة وفي البداية كان معظمهم من أبناء الإمبرطورية الروسـية وأوروبا الشرـقية.. ثم أوروبا الغربية والأمريكيتين والصين واليابان.. وفي السنوات الأولى كان متحدثو اللغة يتواصلون عن طريق الرسائل البريدية.. وتم عقد أول مؤتمر للمتحدثين باللغة سنة ١٩٠٥ في فرنسا.. ومنذ ذلك الوقت.. عقدت مؤتمرات سنوية مشابهة في الخمس قارات.. وتراوح عدد المشاركين في تلك المؤتمرات بين الـــ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ شخص ووصـل أحياناً إلى ٦٠٠٠ شـخص.. وأصـبحت الإسـبرانتو بالرغم من كونها ليسـت بلغةٍ رسـمية في أية دولة إلا أنها أصـبحت تُدرس في بعض الدول.. في بداية القرن العشرين تعددت بعض المحاولات لجعلها لغة رسمية للتعامل بها في بعض الدول الصغيرة لكن هذا لم يستمر طويلاً.. بينما أصبحت بالفعل لغة عملية لدى بعض المؤسسات الدولية مثل مؤسسة اللاوطنية الدولية.. والمنظمة العالمية للإسبرانتو.. التي لها علاقات استشارية مع الأمم المتحدة واليونيسـكو.. وهناك بعض الديانات الصغيرة مثل البهائية والأوموتو تحبذ اسـتخدام الإسـبرانتو بين ممارسـيها.. وتكتب الإسـبرانتو بالأبجدية اللاتينية..وبمرور الوقت أصبح لها مفرداتها الخاصة.

- بين عامى١٨٦٤- ١٨٦٧ : مغامرات الكابتن أتورا :
(les Aventures du capitaine Hatteras).

- عام ١٨٦٤: رحلة لمركز الأرض (Voyage au centre de la Terre).

- في ١٦ مارس ١٨٦٧: كتب رواية المدينة العائمة (Une ville flottante) خلال رحلته إلى ليفربول متجهاً للولايات المتحدة برفقة شقيقه بول.. بعد أن ترك وظيفته كعامل مصرفي.. وكانت تلك أولى رحلاته البحرية التى ستتوالى فيما بعد.

- عام١٨٦٥: من الأرض إلى القمر (De la Terre à la Lune)

- عام ١٨٧٧ : حول القمر (Autour de la lune) والروايتان الأخيرتان استلهم شخصية البطل فيهما من شخصية صديقٍ له يُدعى نادار (Nadar) .

- عام ١٨٦٠.: باريس في القرن العشرين (Paris au XXe siècle) وهذه الرواية لم تخرج للنور إلا في عام ١٩٩٤م.

- عام ١٨٦٢: الكونت دي شاتولين (Le Comte de Chanteleine).

- عام ١٨٦٣:خمسة أسابيع في منطاد (Cinq semaines en ballon).

- بين عامى ١٨٦٦- ١٨٦٨: كتب أطفال الكابتن جرا (Les Enfants du capitaine Grant).

- عام ١٨٦٩: عشرون ألف فرسخ تحت الماء (Vingt mille lieues sous les mers).

- عام ١٨٧٠: الخال روبيسون (L'Oncle Robinson).. «نُشرت عام ١٩٩٣».

- بين عامي ١٨٧٠ - ١٨٧٤ : المستشار (Le Chancellor).

- عام ١٨٧٠: مغامرات ثلاثة رجال إنجليز وثلاثة روس في جنوب أفريقيا (Aventures de trois Russes et de trois Anglais dans l'Afrique australe).

- عام ١٨٧١: المدينة العائمة (Une ville flottante).

- بين عامي ١٨٧١- ١٨٧٢: كتب رواية (بلاد الفراء) :
(Le Pays des fourrures).

- عام ١٨٧٢: حول العالم في ثمانين يوم:
(Le Tour du monde en quatre- vingts jours).

- بين عامى ١٨٧٣- ١٨٧٥: الجزيرة الغامضة (L'Ile mystérieuse).

- بين عامى ١٨٧٦- ١٨٧٧: الهند السوداء (Les Indes noires).

- بين عامى ١٨٧٧- ١٨٧٨: قائد في الخامسة عشرة :
(Un capitaine de quinze ans).

- عام ١٨٧٨: محنة صيني في الصين :
  (Les Tribulations d'un chinois en Chine).
- عام ١٩٠١: قائد الدانوب (Le Pilote du Danube).
- عام ١٩٠٢: اجتياح البحر (L'Invasion de la mer).
- عام ١٩٠٢- ١٩٠٣: سيد العالم (Maître du Monde).
- عام ١٩١٠: أمس وغداً (Hier et demain).
- عام ١٩١٠: آدم الخالد (L'éternel Adam).



الرواية

والآن بعد أن تعرفنا على مؤلف هذه الرواية .. وقبل أن نبدأ قراءتنا لها نشـــير لبضـــع ملحوظات تتعلق بالأجواء العامة لهذا العمل:

العمل ككل يرصد الواقع العالمي خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر.. ويعكس لنا الكلاسيكية الروتينية للحياة في لندن حيث بدأت.. وانتهت الأحداث.. وفي هذا الزمن كانت السكك الحديدية هى الاختراع الأهم للتواصل بين المدن.. وأحياناً الدول.. وكانت السفن ما تزال أحد أهم وسائل التنقل بين مختلف الدول.. حيث لم يكن الطيران قد استُحدِث بعد..

كما يرصد العمل أبعادًا أخرى قصدها جول فيرن وهو يرسم ملامح الشخصية الرئيسية للرواية فهو رجل يعيش بأخلاق الفرســان.. تحكمه شـهامته في مد يد العون للآخرين.. والمبادرة بإنقاذهم متى احتاجوا إلى ذلك حتى وهو لا يعرفهم معرفةً شخصية.. ويتميز بكرم التعامل مع الجميع.. والصدق .. والوفاء بالعهود.. أما أهم تلك الصفات التى حاول جول فيرن التركيز عليها من خلال تلك الرواية فهى ضرورة إصرار الإنسان على الوصول إلى هدفه.. وغايته مهما قابلته من صِعاب.. فيجب ألا تخفت إرادته على الإطلاق..

وبالنسبة للشكل الأدبي في التناول فيمكننا ملاحظة التالي:

●بدايةً قام «جول فيرن» بتقسـيم روايته على هيئة متتابعات قصـيرة.. وليسـت فصـولاً مطولة كما هو المعتاد في التناول الروائي خاصةً في تلك الآونة من القرن الماضي.

●تلك المتتابعات حملها أسماءاً فرعية في الغالب لأشخاص الرواية.. أو للحدث الذى تتعرض له.

●حاولنا بقدر الإمكان الإبقاء على النص بشكله الحرفي المُترجم إليه لكن أحياناً كان لابد من التدخل لأجل إعادة الصياغة بشكلٍ نراه أفضل.. أو لدمج متتابعات مع بعضها البعض جاء القطع فيها مؤثراً على سياق الكلام.. وهذا بشكلٍ عام لم يحدث كثيراً.

شخصيات الرواية

والآن نتعرف على أهم شخوص الرواية:

(فيلياس فوج): هو السيد الإنجليزى.. بطل الرواية.. هادئ إلى حد البرود القاتل.. يتحلى كما أشرنا بأخلاق الفرسان.. وهو من أثرياء لندن.. لكن تاريخه السابق لتكوين ثروته مجهول.

جان (باسبارتو): خادم السيد.. وتابعه.. اسمه بالفرنسية يعنى الشخص الفهلوى.. وهو يسبب له بعض المتاعب بحماقاته.. لكنه دوماً متفانى في خدمة سيده.

(عوده): فتاة هندية أنقذوها من الموت حرقاً طبقاً لعقيدة (السوتى) الهندية الشهيرة والتى تقضي بحرق الزوجة مع جثمان زوجها بعد وفاته.

مستر (فيكس): مفتش خاص يتعقب السيد في رحلته حول العالم للقبض عليه.

أشخاص ثانويون: رفاق نادى الإصلاح.. هنود.. ضباط وجنود.. قادة سفن ومراكب.. وآخرون .

والآن إلى أحداث الرواية...

1 مستر فيلياس فوج

في عام ١٨٧٢ كان يعيش في المنزل رقم ٧ بحيّ سـافيل رو بلندن مسـتر (فيلياس فوج) أحد أعضـاء نادي الإصـلاح.. ولما كان لا يتحدث عن نفسه .. فلم يكن أحد يعرف عنه شيئاً.. كان إنجليزياً بكل تأكيد.. جنتلمان إنجليزي وجيه المظهر.. لم يظهر مطلقاً في بنك أو أى مكان عمل بالمدينة.. كما أنه لم يكن معروفاً عند أصحاب السفن.. أو شحن السفن.. لم يكن تاجراً.. ولا رجل أعمال.. لم يكن مزارعاً.. ولا عالماً.. وأيضاً لم يكن كاتباً.. كان في النهاية يبدو بلا عمل أو مهنة!

كان (فيلياس فوج) ـ وفقط ـ عضواً في نادي الإصلاح[٥].. لا غير..

ولكن أليس من الغريب أن يصبح عضواً في نادي الإصلاح وهو رجلٌ يبدو مجهولاً بلا أصدقاء.. كان ذلك لسبب بسيطٍ جداً.. لقد وضع مدير البنك.. الذى يرعى أعماله.. اسمه في كشف الراغبين في العضوية.. وتم قبوله عضواً في هذا النادي..

هل كان (فيلياس فوج) ثرياً؟.. أجل..

وبالتأكيد لكن كيف حقق ثروته؟ لا أحد يدرى.. ولم يكن مسـتر (فوج) من النوع الذي يخبر أحداً عن شـئونه.. لم يكن ينفق نقوداً كثيرة.. ومع ذلك لم يكن يبدو كأحد هؤلاء الناس البخلاء الذين يحبون كنز المال..

كان مُقلاً في أحاديثه.. فى الحقيقة لا يوجد من يستطيع أن يتكلم أقل منه ! ..

ولا يوجد أى سرٍ من أسرار في عاداته وحياته اليومية.. ولكن كان الناس يزدادون دهشةً وتساؤلاً عنه وعن حياته الماضية.. لأنه كان دائماً يؤدىً كل شيء بانتظام في نفس الوقت وبنفس الطريقة كل يوم..

هل سافر؟ ربما..

لا يوجد إنسـان كان يعرف خريطة العالم أفضـل منه.. إذ يبدو أن لديه معرفة دقيقة مضـبوطة عن كل بلد ومدينة في العالم.. وعندما يتحدث أعضاء النادي أحياناً عن رحالة قد اختفوا أو فقدوا في مكانٍ ما.. أو بقعةٍ ما مجهولة من العالم.. كان مستر (فوج) يوضح.. فى كلمات قليلة احتمالات ما قد حدث لهم.. وغالباً ما تثبتُ صحة تفسيره.. كان يبدو وكأنه رجلٌ سافر إلى كل مكانٍ في العالم.. على الأقل في عقله وخياله!

ومع ذلك.. كان من المؤكد تماماً أن (فيلياس فوج) لم يغادر لندن لعددٍ من السـنين.. ويقول هؤلاء الذين يعرفونه أفضـل قليلاً من غيرهم.. بأن أحداً لم يره في أى مكان غير لندن.. وحتى في لندن كان المكان الوحيد الذي يرونه فيه هو الطريق بين منزله والنادي.. كان كل ما يفعله هو قراءة الصحف ولعب الورق.. وكان من الواضح للجميع أن مستر (فوج) لا يلعب من أجل اكتسـاب المال.. ولكن من أجل اللعب نفسـه.. لدرجة أن لعب الورق بالنسـبة له كان عبارة عن معركة أو صراع مع مشكلة..

وكان يبدو أن (فيلياس فوج) ليسـت لديه زوجة ولا أطفال.. ولم يسـمع أحدٌ عن والده أو والدته.. أو أن لديه إخوة وأخوات..

كان يعيش وحيداً في منزله بسـافيل رو.. حيث لا يقوم أحدٌ بزيارته.. وبالتالي فلا يعرف أحدٌ شـيئاً عما في داخل منزله.. وكان خادم واحد يكفي للعناية بالشئون المنزلية.. فكان يتناول طعامه في النادى في نفس المواعيد بالضبط كل يوم.. ويجلس في نفس الحجرة وعلى نفس المائدة.. ودائماً بمفرده.. وكان يذهب للبيت للنوم فقط.. ودائماً في منتصف الليل بالضبط..

كان منزله في سافيل رو منزلاً بسيطاً.. ولكنه مريح جداً.. ولما كانت عاداته منتظمة بهذا الشكل.. وهو الذى يقضى طوال يومه في ناديه.. لذا أصـبحت واجبات خادمه خفيفة.. ولكن كان (فيلياس فوج) يتوقع من خادمه درجة عالية من الضـبط والربط...!

---

(٥) نادي الإصـلاح .. هو نادي أرسـتقراطي كان يرتاده عِلية القوم في لندن في هذا الزمان .. وما زالت له بعض الفروع في أحياء لندن الكلاسـيكية .. ووقتها كانت له فروع تقريبًا في جميع مدن إنجلترا .

2 مستر فيلياس فوج

كان ذلك في الثاني من أكتوبر عندما أخبر مستر (فوج) خادمه.. جون فوستر.. بأنه لم يعد في حاجة إليه.. لقد اقترف جون فوســـتر ذنباً خطيراً في عدم الدقة.. كانت درجة حرارة الماء الذي أحضرـــه إلى غرفة ســـيده (٨٤) درجة بدلاً من(٨٦) وهذه بالنسبة له غلطة لا يمكن أن تُغتفر.. ولا يُسمح له بأى عذر.. وكان لابد على الخادم أن يتركه.. وكان مستر (فوج) ينتظر الآن وصول خادمه الجديد.. الذي كان عليه أن يظهر بين الساعة الحادية عشرة والحادية عشرة والنصف.

كان (فيلياس فوج) يجلس على كرســيه المريح وقدماه منضــبطتان ويداه على ركبتيه وقامته معتدلة مفرودة.. ورأســه مرفوع.. وكان يتطلع إلى الساعة.. ساعة مدهشة تبين الثوانى.. والدقائق.. والساعات.. والأيام والسنين.. وعندما دقت الساعة الحادية عشرة والنصف.. كان لابد لـــ(مستر فوج).. حسب عادته أن يغادر المنزل ويذهب إلى النادي.. وفي هذه اللحظة كان هناك طرق على الباب.. لقد ظهر جون فوستر.. الذي قال:

- الخادم الجديد !

دخل شاب في حوالي الثلاثين من عمره وانحنى.. فسأله (مستر فوج):

- هل أنت فرنسى واسمك جون؟

فقال الشاب:

- عفواً.. اســمي جان.. لو ســمحت.. جان (باســبارتو) واســمي يناســبني تماماً.. لأنني اعتدت أن أعمل كل أنواع العمل.. واعتقد أنني إنســان طيب وشريف.. ولكن لأصــدقك القول فلقد عملت في مجالات شــتى.. لقد غنيت في الشــوارع.. وكنت لاعب «أكروبات».. وراقصــاً على الحبال.. وقمت بتدريس هذه الأشــياء.. وفي باريس.. كنت ضــابطاً في فرقة المطافئ.. لذلك أستطيع أن أخبرك بقصص أشهر الحرائق في تلك المدينة.. غادرت فرنسا منذ خمس سنوات.. راغباً في التعرف على نوع الحياة في البيوت الإنجليزية.. وجئت لإنجلترا كخادم للمنازل.. ولما وجدت نفسى بدون عمل حالياً جئت إليك.. ولقد سمعت أنك يا ســيدى تعيش أهدأ وأنظم حياة لأى إنســان فى إنجلترا.. وهذا ســيناســبني تماماً.. لأنى أنا أيضــاً أود أن أعيش حياة هادئة في المستقبل.. بل وحتى أنسى اسمى (باسبارتو)..

فرد عليه مستر (فوج) قائلاً:

- إنك ستناسبني.. لقد قيل لي : أنك خادم طيب ورجل محل ثقة.. أنت تعرف شروطى.. أليس كذلك؟!

- أجل يا سيدي!

- حسن جداً.. ما هو الوقت الآن حسب ساعتك؟

فأجاب (باسبارتو) وهو يسحب ساعة فضية كبيرة من جيبه:

- الحادية عشرة واثنتان وعشرون دقيقة..

فقال (مستر فوج):

- ساعتك تؤخر..

- عفواً يا سيدى ولكن هذا مستحيل..

فقال (مستر فوج):

- عندك تأخير أربع دقائق.. لكن لا يهم طالما تعرف ذلك.. والآن.. ومن هذه اللحظة: الحادية عشرة والتاسعة والعشرون من صباح الأربعاء الثاني من أكتوبر ١٨٧٢ أصبحت في خدمتي!

وبعدما قال ذلك.. وقف فيلياس فوج.. وأخذ قبعته بيده اليسرى ووضعها على رأسه بحركة آلية وترك المنزل بدون أن يتفوه بأى كلمة أخرى..

3 مستر (فوج) يذهب إلى النادي

وبعد ما وضع قدمه اليمنى أمام قدمه اليسرى ٥٧٥ مرة.. وقدمه اليسرى ٥٧٦ مرة قبل قدمه اليمنى وصل إلى المبنى الفاخر لنادى الإصلاح.. واتخذ مكانه المعتاد على مائدته المفضلة فى حجرة الطعام.. وفى الساعة الثانية عشرة والدقيقة السابعة والأربعين وقف ناهضاً.. وذهب إلى حجرة المطالعة.. حيث أعطاه أحد الخدم نسخة من صحيفة التايمز.. وأخذ يطالع بها حتى الثالثة والدقيقة الخامسة والأربعين.. عندها أخذ صحيفة ستاندرد وأخذ يطالعها حتى العشاء.. وفي الخامسة والدقيقة الأربعين عاد ثانية إلى حجرة المطالعة.. وأخذ يتصفح كرونيكل مورنينج.. وبعد نصف ساعة انضم إليه بعض أصدقائه الخصوصيين..

وبدأوا يتحدثون عن سرقة البنك الكبرى التى قد وقعت في اليوم السابق.. لقد سرق اللص ٥٥,٠٠٠ جنيه استرليني من العملات الورقية.. فقال أحدهم.. وكان يدعى أندرو ستيورات:

- سيخسر البنك ماله على ما أعتقد..

فقال آخر ويدعى توماس فلاناجان:

- لا أعتقد ذلك.. سيتم القبض على اللص قريبا جداً.. حيث أن جميع الموانئ مراقبة من قِبل الشرطة بشكل محكم.. وسيجد اللص صعوبةً في الهروب من البلد..

وقال (مستر فوج):

- كرونيكل مورنينج.. هل تعتقد أن الشخص الذى حصل على النقود لصاً عادياً.. لابد أنه رجل مثقف له مركز مهم..

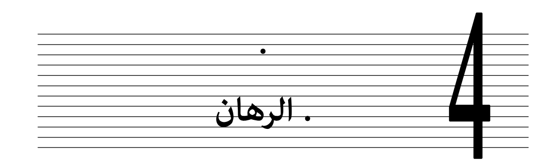
واستمروا في الحديث عن احتمالات القبض على اللص أو الطرق المختلفة التى يمكنه أن يهرب بها من البلد..

وقال بعض منهم : أن العالم كبير لدرجة أن اللص يمكنه.. بكل سهولة.. أن يهرب من هؤلاء الذين يحاولون القبض عليه.. ثم قال أحدهم:

- لم يصبح العالم شاسعاً بعد.. لقد قامت السفن السريعة والقطارات بعمل تغيير عظيم.. فمثلاً لدينا الآن قناة السويس.. والسكك الحديدية تجرى الآن عبر الهند والولايات المتحدة..

ثم بدأوا بعد ذلك يتحدثون عن السفر حول العالم.. وكم يستغرق من زمن.. أجمع أغلبهم على أن ذلك يستغرق ثلاثة شهور على الأقل.. ولكن (فيلياس فوج) قال : إن ثمانين يوماً تكفي.. ولإثبات ذلك أخذ مستر (فوج) قطعة من الورق وكتب عليها الآتى:

- لندن – السويس عن طريق كاليه وبرنديزى (سكة حديد وباخرة)٧ أيام
- السويس – بومباى (باخرة) ١٣ يوماً
- بومباى – كالكتا (سكة حديد) ٣ أيام
- كالكتا – هونج كونج (باخرة) ١٣ يوماً
- هونج كونج – يوكوهاما (باخرة) ٦ أيام
- يوكوهاما – سان فرانسيسكو (باخرة) ٢٢ يوماً
- سان فرانسيسكو – نيويورك (سكة حديد) ٧ أيام
- نيويورك – لندن (باخرة وسكة حديد) ٩ أيام



عندها قال مستر ستيورات أن ذلك مستحيل.. وعرض رهاناً قدره أربعة آلاف جنيه لتيقنه من كونه على صواب.. قال (فيلياس فوج) : أنه مستعد أن يذهب حول العالم.. بنفسه.. فى ثمانين يوماً.. وأنه على استعداد أن يبدأ رحلته من مساء نفس اليوم.. وقال : أنه لا يوافق فقط على الرهان مع مستر ستيورات بأربعة آلاف جنيه.. بل سيراهن بعشرين ألف جنيه من ثروته على أن يستطيع أن يذهب حول العالم في ثمانين يومًا ...!

وقبل أصدقاؤه الخمسة الرهان على أن يشترك كل منهم فيه بمبلغ ٤ آلاف جنيه.. وأنذرهم مستر (فوج) بأنه سيكون عليهم دفع نفقات رحلته.. وقال لهم:

- والآن.. تم الاتفاق.. وقضى الأمر.. هناك قطار يغادر إلى دوفر في الثامنة وخمسة وأربعين دقيقة هذا المساء.. سأسافر فيه..

فصاح مستر ستيورات بصوت مندهش جداً:

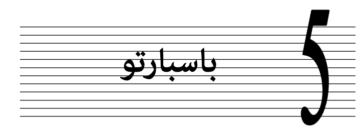
- هذا المساء؟

فأجاب مستر (فوج) بهدوء وكان الموضوع هو الذهاب إلى الشارع المجاور:

- هذا المساء.. وحيث إننا في يوم الأربعاء الثاني من أكتوبر.. فيتحتم علي أن أعود إلى حجرة المطالعة لنادى الإصلاح في يوم السبت الحادى والعشرين من ديسمبر في تمام الساعة الثامنة وخمسة وأربعين دقيقة مساء.. وإذا لم أحضر سيؤول مبلغ العشرين ألف جنيه الموجود حالياً في حسابي الخاص في البنك إليكم أيها السادة!

دقت الساعة معلنةً السابعة.. وهو يتكلم.. ونصحه أصدقاؤه بالإسراع في الحال للاستعداد لرحلته ولكنه قال: لا داعى لذلك فهو لا يحتاج للاستعداد.. لأنه مستعد بالفعل كما هو دائماً.. ولذلك عندما أصبحت الساعة السابعة وخمسة وعشرين دقيقة وَدَّعَ أصدقاءه.. وقالوا له مع السلامة.. ثم غادر بعدها النادي..

وبعد خمسة وعشرين دقيقة فتح باب منزله فوجد (باسبارتو) في انتظاره..



كان (باسبارتو) يشعر بسعادة غامرة.. خصوصاً بعد أن شاهد المنزل واطلع على ما فيه من أثاث وأغراض ولاحظ ترتيبها.. فقد دل كل شيء على أن ســيده رجل يعيش حياة هادئة منظمة.. وكان من الواضــح أنه لم يقم برحلاتٍ مطلقاً.. ولا حتى يذهب للصيد أو الرماية.. وقال لنفسه:

- إن هذا يناسبني تماماً.. لقد قضيت سنوات عديدة في المغامرات وفي مجالات متغيرة ولا أطلب شيئاً أفضل من أن أقضى حياة هادئة منظمة مع سيدى الجديد!

وعندئذ دخل سيده.. الذى قال له:

- علينا أن نغادر خلال عشر دقائق إلى (دوفر وكاليه).. سنذهب حول العالم في ثمانين يوماً.. لذلك لا يجب أن نضيع أى وقت.. إن الهدوء الذى أعطى به هذه المعلومة لخادمه تركت هذا الرجل الفرنسى الطيب فى حالة انعدام وزن من الدهشة.. وقال مستفسرا:

- حول العالم؟!
- أجل.. حول العالم..
- في ثمانين يوماً؟ !
- في ثمانين يوماً...!
- والمغادرة خلال عشر دقائق؟!
- تمام!
- ولكن ماذا عن الأغراض التى سنأخذها معنا؟ ماذا عن أمتعتنا وترتيبها؟
- لن نأخذ شيئاً معنا فيما عدا ملابسنا الليلية.. كل شئ آخر سنشتريه في الطريق..

وعند الساعة الثامنة كان (باسبارتو) قد قام بعمل بعض الأشياء التى كان لابد من عملها.. لقد رتب حقيبة سفر صغيرة.. وأغلق الحجرات والمنزل بإحكام.. ووضــع مســتر (فوج) في الحقيبة رزمة الأوراق المالية الكبيرة ونبه على خادمه أن يكون حريصاً على الحقيبة.. حيث يوجد بها عشرون ألف جنيه..

وقاما بإغلاق الباب الأمامى.. وعبرا الشارع.. واستأجرا عربة وانطلقت بهما بسرعة إلى محطة (تشيرينج كروس).. وكان أصدقاء (فيلياس فوج) الخمسة ينتظرونه بالمحطة ليودعونه.. وشرح لهم بأن لديه جواز سفر و سيجعل المختصين يوقعون عليه عند كل مكان مهم أثناء الرحلة.. وفي تمام الساعة الثامنة وخامسة وأربعين دقيقة.. بدأ القطار يتحرك: وبدأت الرحلة حول العالم..

6 مفتش الشرطة

بعد سبعة أيام وصلا إلى ميناء السويس في مصر.. أثناء انتظار الناس في الميناء للباخرة.. كان هناك رجلان يتحدثان حديثاً هاماً.. كان أحدهما القنصل البريطاني.. والآخر رجلٌ نحيف فاقد الصبر.. ويبدو أن عينيه لا تعرفان معنى الراحة مطلقاً.. كان هذا الرجل هو مستر (فيكس) أحد رجال شرطة التحرى المنتشرين في الموانئ الرئيسية في محاولة القبض على سارق البنك الذى كان مستر (فوج) وأصدقاؤه يتكلمون عنه..

كانت لدى مستر (فيكس) فكرة.. وهى أن السارق قد اختار طريقاً جديداً للذهاب إلى أمريكا.. فبدلاً من السفر عبر المحيط الأطلسي.. فلعله سيسافر فى اتجاه الشرق عن طريق الهند واليابان.. وهكذا يهرب دون أن يكتشفه أحد..

كانت السفينة واسمها (مونغوليا) ستقف فترة قصيرة بالميناء.. ثم تذهب من هناك إلى بومباى.. وعندما نزل المسافرون من السفينة كانوا جميعهم تحت المراقبة الشديدة من قِبل شرطة التحرى.. كان (باسبارتو) واحدًا من هؤلاء المسافرين وقد أرسله سيده للحصول على توقيع القنصل على جواز السفر.. فذهب إلى (فيكس) بجواز السفر وشرح له أنه يرغب في العثور على القنصل.. فأخذه (فيكس) وفحصه بعناية.. وعندما قرأ عن وصف مستر (فوج) أصبح على يقين من أن هذا الجواز هو للرجل الذي يحاول القبض عليه.. فسأله:

- إنه ليس جواز سفرك.. أليس كذلك؟

فقال (باسبارتو):

- كلا أنه يخص سيدي..

فسأله (فيكس):

- وأين سيدك؟

فأجاب (باسبارتو):

- إنه فوق ظهر السفينة..

- ولكنه يجب أن يذهب بنفسه إلى مكتب القنصل إذا أراد القنصل أن يوقع على جواز سفره.. لا يمكنه أن يبعث أى شخص آخر مكانه..

- أهكذا؟

- بالتأكيد..

فسأل (باسبارتو):

- وأين المكتب؟

فقال مفتش الشرطة وهو يشير بيده:

- هناك..

فقال (باسبارتو):

- إذن سأذهب وأحضر سيدى إلى هنا.. ولكنه قد لا يحب أن يأتي بنفسه..

وعندما رجع (باسبارتو) إلى السفينة.. سار مفتش الشرطة بسرعة إلى مكتب القنصل وأخبر القنصل بما يعتقده.. فقال:

- أنا متأكد أن الرجل الذى أبحث عنه موجود على ظهر مونغوليا..

فأجاب القنصل:

- حسناً يا مستر (فيكس).. لن أذهب لرؤية هذا الشخص بنفسى.. لكن إذا كان هو السارق ــ كما تفترض ــ فلا أظن أنه سـيأتى إلى مكتبى.. فاللص لا يحب أن يظهر بنفسـه ويتكلم عن عمله.. بالإضـافة إلى أن المسـافرين لا يحتاجون أن يظهروا جوازاتهم إذا كانوا لا يريدون ذلك..

فقال (فيكس):

- ولكن.. لا يجب أن تسمح له بالذهاب إلى الهند.. يجب أن أحتجزه هنا حتى أتسلم من لندن التصريح بالقبض عليه..

فقال القنصل:

- لا أستطيع ذلك.. إذا كان جواز سفر الرجل سليماً لا يمكنني منعه من السفر إلى الهند..

وفى هذه اللحظة دخل رجلان إلى المكتب.. كان أحدهما (باسبارتو) والآخر (مستر فوج).. وأبرز مستر (فوج) جواز سفره وطلب من القنصل أن يضع توقيعه عليه.. فقرأه القنصل بعناية.. ثم قال:

- هل أنت مستر فيلياس فوج؟

- أجل!

- وهذا الرجل خادمك؟

- أجل!

- هل أنت قادم من لندن؟

- أجل!

- وإلى أين أنت ذاهب؟

- إلى بومباى..

- حسناً يا سيدى.. أنت تعلم أنه لا حاجة تدعوك لإحضار جواز سفرك هذا إلى هنا من أجل توقيعى..

فأجاب (مستر فوج):

- أعلم ذلك.. ولكنى أود أن أثبت بواسطة توقيعك أننى مررت عبر السويس..

فقال القنصل وهو يوقع جواز السفر:

- **حسن جداً!**
- **ووقع له على الجواز .**

7 (فيكس) و(باسبارتو)

وبعد بضع دقائق وجد (فيكس) (باسبارتو) بمفرده فسأله:

- حسن.. هل حصلت على ما أردت؟

- أوه.. أهذا أنت يا سيدى؟ أجل كل شيء على ما يرام.. وهذه هى السويس ونحن في مصر..

- تمام..

- في أفريقيا على ما أعتقد..

- أجل فى أفريقيا..

- أود لو اســـتطعت البقاء وقتاً أطول وأرى بعض معالم أفريقيا.. ولكننا نســـافر مسرـعين.. فليس لدى الوقت للوقوف لمشاهدة الأماكن المهمة..

فسأله (فيكس):

- إذن.. فأنت على عجلة من أمرك..

- كلا.. إنه ســـيدى.. إنه في عجلة من أمره بشـــكل فظيع.. لقد غادرنا لندن بغتة.. حتى إننا لم يكن لدينا الوقت لتحزيم أمتعتنا الخاصة بالرحلة..

فقال (فيكس):

- يمكنني أن آخذك إلى مكان حيث تستطيع شراء كل ما تحتاج إليه..

فأجابه (باسبارتو):

- إنك لكريم حقاً..

وأثناء سيرهما سوياً قال الشاب الفرنسى:

- أهم شيء.. يجب ألا أتأخر عن السفينة!

فأجابه (فيكس):

- لديك وفرة من الوقت.. إن الساعة الثانية عشرة فقط..

فسحب (باسبارتو) ساعته وقال:

- الساعة الثانية عشرة! إنك تمزح.. إنها العاشرة إلا ثماني دقائق فقط..

فأجاب (فيكس):

- إن ساعتك تؤخر..

- تؤخر؟ ساعتى؟ الساعة التى ورثتها أباً عن جد؟ ساعتى التى لم تخطئ أبداً؟ مستحيل!

فأجاب (فيكس):

- فهمت السبب.. لقد احتفظت بتوقيت لندن.. الذى يقل عن توقيت السويس بحوالى ساعتين.. عليك بتعديلها..

فصرخ (باسبارتو) قائلاً:

- تعديلها! لكنها ليست خطأ!

- حسن.. إذا لم تعدلها فلن تتوافق مع الشمس..

- هذا أسوأ للشمس يا سيدى.. قد تكون الشمس مخطئة ولكن ساعتى لا تخطئ!

فقال (فيكس) بعد قليل:

- دعنى أفكر.. كنت تقول: إنك غادرت لندن مسرعاً..

- بالتأكيد فعلنا ذلك.. ففي مساء الأربعاء عاد مستر (فوج) من ناديه مبكراً عن موعده المعتاد.. وبعد ثلاثة أرباع الساعة بدأنا رحلتنا..

- ولكن إلى أين سيذهب سيدك؟

- إنه ذاهب حول العالم..

فصرخ (فيكس):

- ذاهب حول العالم؟

- أجل.. فى ثمانين يوماً.. رهان.. إنه يقول ذلك.. لكن بينى وبينك.. لا أصدق ذلك.. فهناك أمر بخصوص ذلك لا أفهمه..

- يبدو أنه شخص غريب..

- إنه بالتأكيد كذلك..

- هل هو ثرى؟

- لابد أنه كذلك.. وهو يحمل معه مبلغاً كبيراً من المال.. كله أوراق نقدية جديدة.. وهو ينفق نقوده أيضاً بكل بساطة..

- هل تعرف سيدك لمدة طويلة؟

- أنني لم أقابله مطلقاً إلا يوم بدأنا الرحلة.. فى نفس اليوم الذى أصبحت فيه خادمه..

من السهل تخيل الأثر الذى تركه هذا الحديث على مفتش الشرطة.. الذى كان متأكداً من قبل أن مستر (فوج) هو سارق البنك.. إن هذا القلق للوصـــول إلى بلاد بعيدة.. تحت حجة رهان غريب.. جعل (فيكس) يتأكد تماماً من أن فكرته كانت صائبة.. وحَثَّ الشاب الفرنسى على المزيد من الكلام.. وهكذا توصل إلى أن الخادم لا يعرف أى شئ عن سيده.. وأن مستر (فوج) يعيش وحيداً في لندن.. وأنه معروف أنه ثريًا.. ولا أحد يعرف مصـــدر ثروته ومن أين أتتً.. وأنه رجل لا يتحدث مطلقاً عن نفسه أو عن عمله.. وتوصل أيضاً بأنه ذاهب حقاً إلى بومباى.. وسأله (باسبارتو):

- هل بومباى بعيدة؟

فأجاب (فيكس):

- أجل.. إنها ستستغرق عشرة أيام أخرى في البحر..

- وأين بومباى؟

- في الهند..

- فى آسيا؟

- طبعاً!

8 مستر (فيكس) والقنصل

توجه (فيكس) إلى القنصل بعد هذا الحديث.. وقال له:

- إنني متأكدٌ تماماً من حصولى عليه.. إنه يتظاهر بأنه يحاول كسب رهان غريب بذهابه حول العالم في ثمانين يوماً..

فقال القنصل:

- إذن.. فهو حاذق جداً.. على أمل أن يعود بأمان إلى لندن بعد أن يكون قد هرب من الشرطة حول العالم..

فأجاب (فيكس):

- سوف نرى..

- هل أنت متأكد من أنك لم تخطئ؟

- متأكد تماماً..

- إذن لماذا كان مهتماً بأن أوقع على جواز سفره؟

- هذا ما لا أدريه.. ولكن اسمع..

ثم أخبر القنصل في إيجاز ما سمعه من (باسبارتو)..

فقال القنصل:

- أجل.. في الحقيقة يبدو أنه الرجل الذى تريده.. ماذا ستفعل؟

- أبعث ببرقية للندن.. أُخبر فيها الناس هناك أن يرسلوا لى في بومباى أمراً بالقبض عليه.. لذلك سأصعد إلى ظهر مونغوليا متتبعاً السارق إلى الهند.. وهناك أتوجه إليه بأدب والتصريح في يدي بينما يدى الأخرى على كتفه..

ثم ودع (فيكس) القنصل.. وأرسل البرقية.. وصعد إلى ظهر مونغوليا.. وبعد ذلك بقليل شقت السفينة البخارية طريقها عبر البحر الأحمر متجهة إلى الهند..

9 من السويس إلى بومباي

كان معظم المسافرين الذين صعدوا على ظهر السفينة مونغوليا من برينديزى لن يذهبوا إلى أبعد من الهند.. بعضهم كان ذاهباً إلى بومباى والبعض الآخر إلى كالكتا عن طريق بومباى.. حيث إن طريق السكة الحديد قد تم إنشاؤه وهو الذى يقطع الهند من الغرب للشرق.. فكان لا داعى لاتخاذ الطريق البحرى الطويل المار بجزيرة سيلان.. وتصادف ورأى (باسبارتو) (فيكس) في اليوم التالي لمغادرة السفينة مدينة السويس..

فقال بابتسامة:

- إذا لم أكن مخطئاً.. يا سيدى فأنت الذى تفضلت ووجهتنى في السويس..

- أجل.. بالطبع أنت خادم هذا السيد الإنجليزي الغريب..

- هكذا يا مستر ..؟

- (فيكس)..

- مستر (فيكس).. أنى سعيد جداً أن أجدك على ظهر السفينة.. وإلى أين أنت ذاهب؟

- مثلك إلى بومباى..

- هذا شيء رائع.. هل سبق لك أن ذهبت إلى هناك من قبل؟

فأجاب (فيكس) الذى لا يرغب في قول الكثير:

- حسن.. أجل..

وسأل (باسبارتو):

- هل الهند مكان مسلٍ؟

- مسلٍ جداً.. توجد جميع أنواع المدهشات التى تستحق المشاهدة.. آمل أن يكون لديك الوقت الكافى لمشاهدة البلد..

- أننى آمل ذلك أيضاً.. يا مستر (فيكس).. بالإضافة إلى شيء آخر وهو أن يقضى الإنسان حياته قافزاً من مركب إلى سكة حديد.. ومن سكةِ حديدٍ إلى سفينة.. وذلك من أجل الذهاب حول العالم في ثمانين يوماً.. ولكن كل هذه الأمور ستأتى حتماً إلى نهاية عند بومباى إننى أشعر بذلك..

فسأله (فيكس) دون أن يظهر بأنه مهتم:

- وهل مستر (فوج) بخير؟

فأجاب (باسبارتو):

- إنه بخير تماماً وأنا كذلك.. إننى آكل ما يكفي ثلاثة رجال.. إنه هواء البحر الذى يجعلنى أحس بالجوع هكذا..

- إننى لم أر سيدك على ظهر السفينة مطلقاً..

- نعم.. أنه لا يحب الاختلاط بالناس..

- هل ترى يا مستر (باسبارتو) بأن هذه الرحلة حول العالم في ثمانين يوماً قد تكون عذراً لشيء آخر.. غرض سرى ما؟

- حسن.. مستر (فيكس).. إننى لا أدرى.. وفوق هذا لا أريد أن أعرف..

وأتبع هذا الحديث.. أحاديث أخرى.. لأن المفتش كان يعتقد بأن من الحكمة أن يتصـادق مع خادم الرجل الذى يتتبعه: فلابد أن يكون ذا نفع..

وفى عدن.. نزل (فوج) إلى الشاطئ للحصول على التوقيع على جواز سفره.. ونزل (باسبارتو) أيضاً.. لأنه لم يضيع أى فرصة لمشاهدة جميع ما يجب مشاهدته.. وقال..

- يا له من شيء مسل جداً.. إذا أراد الإنسان أن يرى الجديد فلا يوجد أفضل من الترحال..

وفي يوم الأحد العشرين من أكتوبر ظهرت الهند على مدى البصر..

10 كيف فقد باسبارتو حذاءه

و صلت السفينة إلى بومباى قبل موعدها المتوقع بيومين.. ونزل المسافرون إلى الشاطئ في تمام الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر.. وكان موعد القطار المتوجه إلى كالكتا في الساعة الثامنة..

من فوره توجه مســتر (فوج) إلى مكتب الجوازات ليأخذ التوقيع على جوازه.. بينما توجه مســتر (فيكس) إلى مركز الشرــطة.. حيث استفسر بقلق عن وصول التصريح.. لم يأت التصريح بالقبض على سارق البنك وخاب أمل (فيكس).. فطلب من رئيس شرطة بومباى أن يعطيه أمراً بالقبض على (مستر فوج).. فرفض رئيس الشرطة.. قائلاً : إن هذا موضوع يخص شرطة لندن.. وليس له شأن به على الإطلاق.. ولا يوجد أى إجراء يمكن اتخاذه.. كان على يقين من أن مستر (فوج) لن يذهب أبعد من بومباى.. ولذلك سوف ينتظر حتى يأتى الأمر من لندن.. وعندئذ سيلقى القبض عليه..

ولكن علم (باســبارتو).. في هذه الآونة.. أن الرحلة ليســت نهاية مطاف ولا حتى لاســتراحة من تعب ومشــقة الطريق.. فلقد أخبره سيده بأنهما سيغادران بومباى متجهين إلى كالكتا فى قطار الليل.. وهكذا بدأ يظن أن قصة الرهان لابد أنها جادة وأنهما بالفعل يسيران حول العالم..

وسار في جولة بشوارع بومباى لأنه أحب أن يشاهد ما يجب مشاهدته..

ولسوء الحظ بالنسبة له ولسيده.. أودت به رغبته في مشاهدة كل شيء إلى مأزق خطير.

كان ما حدث كالآتى: بينما كان يشـــق طريقه متجهاً نحو المحطة.. مر أمام المعبد الكبير.. «مالابار هيل».. كان منظره الخارجى فى منتهى الجمال لذا أراد أن يدخل ليستمتع بما في داخله.. وبالفعل دخل..

وكان هناك أمران ليس للشـــاب الفرنسىـــ علم بهما.. أحدهما : أن الأجانب غير مســـموح بدخولهم المعابد الهندية.. والقانون صارم في هذه النقطة بالذات.. والأمر الثانى : أنه حتى للهنود أنفسهم لا يسمح مطلقاً بالدخول للمعبد بأحذيتهم.. بل يجب خلعها وتركها خارج الباب..

دخل (باسبارتو) ولم يخلع حذاءه.. وبينما كان فى غمرة إعجابه بالمعبد من الداخل.. ألقى ثلاثة من رجال الدين بأنفسهم فوقه وسـحبوا حذاءه.. وطرحوه أرضـاً وبدأوا يضربـونه.. ولما كان (باسـبارتو) قوياً وسريع الحركة.. كان من السـهل عليه أن ينهض واقفاً ويطرح ثلاثتهم أرضاً ويشق طريقه خارج المعبد ويركض..

وعند الســاعة الثامنة إلا خمس دقائق.. أى قبل قيام القطار بدقائق قليلة وصـــل محطة الســكة الحديد بلا قبعة وبلا حذاء..

كان (فيكس) هناك.. مقتفيًا أثر مســتر (فوج) وعلم بأنه ســيغادر المدينة.. فقرر في الحال بأنه يجب أن يتبعه إلى كالكتا وحتى إلى أبعد من ذلك.. ولم يره (باسبارتو).. ولكن سمعه (فيكس) وهو يشرح لسيده قصة مغامراته..

فقال (فيلياس فوج) لخادمه.. وهو يأخذ مكانه في عربة السكة الحديد:

- لا تدع ذلك يحدث مرة أخرى..

وتبع (باسـبارتو) سـيده دون أن ينبس ببنت شـفة.. أما (فيكس) الذى كان على وشـك أن يركب القطار عندما خطرت في ذهنه فكرة أفضل.. وقال لنفسه:

- هذا ما أريده.. سأبقى هنا.. لقد تم خرق القانون فى الهند.. وأنا أعرف ما سأفعله.. لقد حصلت على رجلى..

11 وبدأت رحلة القطار

لم يكن مستر (فوج) و(باسبارتو) وحدهما فى عربة السكة الحديد.. كان هناك مسافر ثالث معهما.. وهو سير فرانسيس كروماتى الذى يعمل ضابطاً فى الجيش الهندى.. والذى كان في طريقه إلى بيناريس..

سأل سير فرانسيس (باسبارتو) عن الوقت.. وكان ذلك في صباح الثلاثاء الثانى والعشرين من أكتوبر.. فحسب (باسبارتو) ساعته ونظر إليها وأجاب:

- الساعة الثالثة..

فقال سير فرانسيس:

- مستحيل.. أنها لا بد وأن تكون الساعة السابعة على الأقل..

فأجاب (باسبارتو):

- إن ساعتى لا تخطئ أبداً

وحاول سير فرانسيس أن يجعل (باسبارتو) يدرك بأنهم طالما يتجهون نحو الشرق فالأيام تصبح أقصر.. وكل خط طول يجتازونه يحدث فارقاً قدره أربع دقائق.. لكن لم يستطع (باسبارتو) إدراك ذلك.. وقال أن ساعته تقول أن الساعة الآن الثالثة ولذلك لا يمكن أن تكون السابعة..

ولما ازدادت أواصر معرفة سير فرانسيس كرومارتى برفاقه المسافرين.. وذلك بعد فترة ليست طويلة من التعارف.. علم ما هو سبب رحلتهما.. فأصبح شغوفاً وأخذ يسمع بانتباه شديد.. وقال لـ(مستر فوج):

- سوف تكون محظوظاً جداً إذا نجحت فى أن تلف حول العالم فى ثمانين يوماً.. فهناك أمور عديدة قد تحدث.. وتسبب لك التأخير.. حادث.. شيء غير متوقع مثلاً..

فأجابه (مستر فوج):

- كلا.. حتى مع الحوادث والأمور غير المتوقعة.. فأنا على يقين من النجاح..

فأجاب سير فرانسيس:

- مغامرة خادمك فى بومباى مثلاً.. أنت ليست لديك فكرة عن صرامة الحكومة الإنجليزية بالهند فى مثل هذه الأمور.. فربما يُقبض على خادمك ويعاقب..

- إذا قُبِضَّ على خادمى وعوقبٍ لدخوله معبداً بدون أن يخلع حذاءه.. فهذا شأنه هو وليّس شأنى.. وإذا أوقفوه فى كالكتا ووضعوه فِي السجن.. سأكون آسفاً بطبيعة الحال.. ولكن لن يمنعنى ذلك من مواصلتي لرحلتي..

فأجاب سير فرانسيس:

- لكن ربما تحدث أشياء أخرى تكون سبباً فى تأخيرك ..!

12 وتوقف القطار

دخل القطار في هذه اللحظة في إحدى المحطات وتوقف.. وسُمِعَ صوتٌ يقول:

- جميع المسافرين ينزلون هنا!

فقفز (باسبارتو) من القطار ليرى ماهو الموضوع وعاد بعد قليل قائلاً:

- هذا هو نهاية خط السكة الحديد..

فسأل سير فرانسيس:

- ماذا تعني؟

- أعني أن القطار لا يمكنه أن يسير أبعد من ذلك..

ونزل المسافرون من القطار.. وسأل سير فرانسيس موظف السكة الحديد:

- أين نحن الآن؟

- إننا في قرية اسمها كهولبى..

- ولماذا توقفنا؟

- هذا هو نهاية خط السكة الحديد..

- كيف ذلك؟

- إن الخطوط لم تكتمل بعد.. فهناك خمسون ميلاً من هنا إلى (الله آباد) لم تُشيد بعد..

- ولكن الصحف تقول بأن الخط قد اكتمل..

فأجاب الموظف:

- هذا ليس من اختصاصى.. لقد أخطأت الصحف..

فقال سير فرانسيس:

- ولكننا دفعنا للرحلة من بومباى إلى كالكتا..

- جموع المسافرين يعرفون أنهم يجب أن يجدوا وسيلة ما لتأخذهم من هنا إلى الله أباد..

ظهر الغضب على سير فرانسيس.. وكان (باسبارتو) على استعداد للعِراك مع موظف السكة الحديد.. ولكنه لم يتجاسر على التطلع إلى سيده.. وقال مستر (فوج) بهدوء:

- سير فرانسيس.. من الأفضل أن نجد طريقة للوصول إلى (الله أباد)..

- (مستر فوج).. إن ذلك يضع حداً لخطتك..

- على الإطلاق يا سير فرانسيس.. لقد توقعت ذلك..

- ماذا! هل كنت تعلم أن السكة الحديد لم تكن قد اكتملت بعد؟

- كلا.. ولكنى كنت أعرف أن شيئاً من هذا النوع أو ذاك كان سيحدث بالتأكيد.. ولكن هذا ليس بالأمر الخطير.. فأنا أسبق مواعيد خطتى بيومين.. حيث إن السفينة ستغادر كالكتا إلى هونج كونج الساعة الثانية عشر في يوم الخمس العشرين.. ونحن الآن في اليوم الثانى والعشرين فقط.. وسنكون فى كالكتا على حسب الميعاد..

كانت السـكة الحديد تنتهى حقاً فى هذه المنطقة.. وكانت الصـحف هى المخطئة.. كما هى غالباً وكان معظم المسـافرين على علم بأن الخط يتوقف هنا.. وقاموا من قبل ا ستئجار عربات وجِياد.. وعندما توجه مستر (فوج) و سير فرانسيس ليجدا أى وسيلة للوصول بها إلى الله أباد كان كل شيء قد أخذ.. فقال فيلياس فوج:

- سوف أمشى..

13 مستر (فوج) يشتري فيلاً

كان (باسبارتو) أكثر حظاً.. إذ قال:

- أظن أنني وجدت طريقةٍ ما..

- وما هى؟

- فيل.. فيل يملكه أحد الهنود الذين يعيشون في المنطقة المجاورة..

فقال (مستر فوج):

- دعنا نذهب ونرى الفيل..

وبعد خمس دقائق وصل المسافرون الثلاثة إلى أحد الأكواخ الذي كان بداخله أحد الهنود.. ويقف أمام الكوخ في الخارج فيل..

فسأله مستر (فوج) : هل يمكننا استئجار الفيل؟

فقال الهندى: لا ..!

فعرض عليه مستر (فوج) سعراً مرتفعاً جداً وهو مبلغ عشرة جنيهات فى الساعة.. فساومهم الهندى رغم ضخامة عرضهم بالنسبة إليه.. وقال لهم :

- لا.. عشرون .. بل.. أربعون جنيهاً؟

كان (با سبارتو) يقوم بالقفز في الهواء فى كل مرة يرتفع فيها السعر.. وكان هذا سعراً خرافياً.. لأنه إذا أخذت المسافة إلى الله أباد خمسة عشر ساعة فعندها سيقبض الهندى ستمائة جنيه..

وعرض (فيلياس فوج) أن يشترى الفيل.. دون إبداء أى علامة من علامات نفاد الصبر.. وكان المبلغ الذى اقترحه هو ألف جنيه!

ولم يرغب الهندى في البيع..

أخذ سير فرانسيس كروماترتى مسر (فوج) جانباً ونصحه بأن يفكر في الأمر.. قبل أن يتمادى فى عرضه..

فقال مستر (فوج) بأنه لم يعتد أن يفكر في الأمر مرتين.. فهو دائماً يقرر الأشياء مرة واحدة.. وعليه أن يكسب رهاناً بعشرين ألف جنيه.. ولكى يكسبه لابد له من الفيل.. حتى لو دفع عشرين ضعفاً لقيمة الحيوان..

عاد مستر (فوج) ثانية إلى الهندى.. فكان من السهل بعد التطلع إلى وجه الرجل معرفة أن الموضوع كله كان مسألة نقود.. لذلك عرض (فيلياس فوج) ألف ومائتى جنيه.. ثم ألفًا وخمسمائة.. ثم ألفاً وثمانمائة.. وأخيراً ألفى جنيه.. وعندئذ وافق الهندى على البيع ..!!

كانت الخطوة التالية هي العثور على شخص يقود الفيل.. وكان ذلك أمراً سهلاً.. إذ عرض صبى هندى.. حلو القسمات.. خدماته عليهم.. ووعده مستر (فوج) بمكافأة طيبة.. الشئ الذى جعل وجهه أكثر بِشراً.. كان الصبى الهندى يعرف عمله.. فقام بتثبيت ترتيبات الجلوس على ظهر الحيوان.. وكانت عبارة عن كرسى في كل جانب..

ودفع مســتر (فوج) للرجل الهندى بالمبلغ أوراقاً نقدية أخذها من الحقيبة.. الشــئ الذي جعل (باســبارتو) يحس وكأنه مريض.. وبعد ذلك عرض مستر (فوج) على سير فرانسيس كرومارتي بأن يأخذه معه إلى الله أباد.. وقبل سير فرانسيس.. فلن يتعب الحيوان الضخم من إضافة مسافر آخر.

وبعد أن اشــتروا الطعام من القرية.. أخذ ســير فرانســيس مكانة فى أحد المقعدين.. و(فيلياس فوج) فى الكرسى الآخر.. واتخذ الصبى الهندى مكانة فوق رقبة الفيل.. و(باسبارتو) على ظهره..

وبدأوا رحلتهم الساعة التاسعة.. وبعدما غادروا القرية سالكين طريقهم يعبروا الغابة..

ساروا طوال اليوم كله.. وعند الساعة الثامنة مساء كانوا قد قطعوا نصف المسافة إلى الله أباد.. ثم انطلقوا مرة أخرى فى الساعة السادسة من الصباح التالي.. وقال السائق إنهم قد يصلوا (الله أباد) في المساء..

وفى الســاعة الرابعة بعد الظهر.. عندما كانوا فى منتصـف غابة كثيفة.. سـمعوا أصـواتاً غريبة.. وضـجة صراخ صـادرة من أصوات عديدة مع موسيقى صاخبة.. ماذا كان ذلك؟ وتوقف السائق الذي ظهر على وجهه القلق.. وقفز من فوق الفيل.. ثم ربطه فى شجرة ثم زحف داخل الغابة.. وبعد دقائق قليلة عاد قائلاً:

- لا يجب أن يرانا أحد! فلنختبئ.. فهناك خطر..

وقام بفك الفيل.. وقاده إلى مكان لا يمكن لأحد أن يرى المسافرين منه..

واقتربت الضجة أكثر فأكثر.. وأخذ المسافرون يراقبون.. وهم لا يدرون ما الذى سيرونه.. عندئذ جاء على مدى قريب من بصرهم جمهرة من رجال الدين وهم يخطون خطوات بين المشى والرقص.. وتصدر منهم أصوات بين الصياح والإنشاد.. وجاء آخرون من خلفهم يجرون شـيئاً كالعربة أو الحافلة.. وكان جالسـاً فيها هيكل ضـخم لرجل وامرأة ذات أربع أذرع مدهونة بألوان عنيفة.. وعرف سير فرنسيس ماذا يحدث فتوجه نحوهم قائلاً:

- إنها الآلهة كالى.. آلهه الحب والموت عند الهنود!

فقل (باسبارتو):

- إلهة الموت.. ممكن.. ولكن إلهة الحب.. هذا ما لا أعتقده.. يا لها من امرأة قبيحة!

وأشـــار الصـــبى الهندى له بأن يحافظ على هدوءه.. وخلف هذا الموكب كان بعض رجال الدين يجرون امرأةً على طول الطريق.. وكانت المرأة تمشى بصعوبة ويبدو عليها الإرهاق.. كانت شابة صغيرة وبيضاء كأية امرأة أوروبية.. وعندئذ جاءت مجموعة أخرى من رجال الدين حاملين جثة ميت.. وكان الميت يرتدى ملابس جميلة لأمير هندى!

14 السوتي

تطلع سير فرانسيس إلى ذلك بكل حزنٍ وأسى.. ثم التفت إلى الصبى الهندى وقال له:

- إنها السوتى!

فأجاب الهندى مؤيداً قوله..

وعندما مر جميع رجال الدين ولم تعد تسمع صرخاتهم.. التفت مستر (فوج) إلى سير فرانسيس وسأله معنى كلمة «سوتى» فأجاب قائلاً:

- السوتى هى أن يُوهب جسد المرأة التى توفى زوجها للآلهة.. إن هذه المرأة المسكينة سوف تُحرق صباح الغد عند شروق الشمس..

فصرخ (باسبارتو):

- أوه! يا لهم من أشرار!

- ولمن هذه الجثة؟

فأجاب السائق:

- إنها جثة زوجها.. الأمير!

وشرح سير فرانسيس كرومارتي قائلاً:

- لقد توقفت هذه العادة فى معظم أنحاء الهند.. ولكن لا يستطيع أحدٌ فعل شئ في مثل هذه الأماكن المتخلفة من البلاد..

فصاح (باسبارتو):

- البنت المسكينة! ستحُرق حية!

وقال سير فرانسيس:

- أجل.. تُحرق حية.. وإذا لم تفعل.. فقد لا تصدقون ما قد تعانيه من قسوة.. سيحلقون لها شعرها.. ولن يقدموا لها أى طعام يذكر.. وسيعاملها الناس أسوأ من الكلب.. وكثيرات من تلك السيدات التعيسات يفضلن أن يُحرقن عن أن يعشن مثل تلك الحياة المرعبة.. وهناك حالات يقدمن السيدات فيها أنفسهن بمحض إرادتهن.. أذكر حالة كهذه.. عندما طلبت امرأة شابة أن يحرقوها مع جثة زوجها.. ولم يسمح الحاكم بالطبع بذلك.. فما كان من المرأة إلا أن تركت البلدة وذهبت إلى بلدة أحد الأمراء الهنود.. وهناك أمكنها أن تموت بالطريقة التى رغبتها..

فقال السائق الذى كان يستمع:

- إن المرأة التى رأيناها حالياً لا تذهب إلى موتها برغبتها.. فهى مُجبرة على ذلك..

فقال سير فرانسيس:

- لكن.. لا تبدو عليها أى مقاومة أو أى محاولة للهرب..

فأجاب الهندى:

- أنهم يجبرونها على أن تشرب أو تدخن شيئاً يجعلها فى حالة تشبه النُعاس.. فلا تدرى بما يدور حولها..

فسأله سير فرانسيس:

- ولكن كيف عرفت أنها مُجبرة على ذلك وليست راغبة؟

فأجاب الرجل:

- كل الناس هنا فى المنطقة على علم بالقصـــة.. إنها فتاة هندية ذات جمال أخاذ.. ابنة تاجر ثرى من بومباي.. حصـــلت هناك على تعليم بالمدارس الإنجليزية.. وكانت تشـبه الأوروبيات اسـمها (عوده) .. توفى والداها وهى صـغيرة.. وأُجبِرَت على الزواج من أمير عجوز.. مات بعد ثلاثة أشهر.. ولعلمها بما سوف يحدث لها فقد لاذت بالهرب.. وتم القبض عليها مؤخراً.. سيحصل أخو الأمير على ثروة شقيقه المتوفى عندما تموت الفتاة.. وهكذا أَعدَ لها موكب الموت..

فسأل (مستر فوج):

- وإلى أين سيأخذونها؟..

- إلى معبد (بيللاجى) على بعد ميلين من هنا حيث ستقضى الليل هناك تنتظر اللحظة التى ستُحرق فيها .. !

15 هيا ننقذ المرأة

وعندما بدأوا التجهيز للمغادرة.. والبدء في رحلتهم الجديدة التفت مستر (فوج) نحو سير فرانسيس وقال:

- دعنا ننقذ هذه المرأة!

فصرخ سير فرانسيس:

- أنت يا سير (فوج) تنقذ هذه المرأة؟

فأجاب:

- مازلت مبكراً عن موعدى باثنتى عشرة ساعة.. ويمكن إعطاء هذه الاثنتى عشرة ساعة لها..

- (مستر فوج).. إن لديك قلبًا رحيماً جداً!

فأجاب مستر (فوج) ببساطة:

- أحياناً.. عندما يكون لدى وقت..

وقرروا أن يذهبوا إلى مكان يكون أقرب ما يكون من المعبد.. وبعد نصف ساعة توقفوا عند مكانٍ مناسب بين الأشجار الكثيفة لا يمكن رؤيتهم..

تم أخذوا يتباحثون عن أفضـــل خطة لإنقاذ الفتاة.. كان الهندى يعرف هذا المعبد.. وقال : إن الفتاة موجودة بداخله.. ومن الممكن الدخول لإخراجها ورجال الدين نائمين؟ عن طريق عمل فتحة في الجدار؟

ولا يمكن اتخاذ قرار مثل هذا إلا فى اللحظة المناسبة.. ولكن من المؤكد أن حملها بعيداً لإنقاذها يجب أن يتم أثناء الليل.. وليس عند لحظة قيادتهم إلى مكان حرقها.. فعندئذ لا يمكن لأى إنسان أن ينقذها..

16 خطة فاشلة

انتظر مستر (فوج) ورفاقه حتى حلول الليل.. وعندما حل الظلام فى حوالى الساعة السادسة قرروا الاقتراب من المعبد ليروا ما يمكنهم عمله.. وفى ذلك الوقت لم يعد يسمعون مزيداً من الضوضاء.. فقد شرب حراس المعبد الهنود أو دخنوا شيئاً جعلهم فى سبات عميق.. حتى أصبح من الممكن الدخول للمعبد بدون أن يلاحظهم أحد.

ذهب الهندى أولاً.. ثم تبعه الآخرون.. ولم تمر فترة طويلة حتى وصلوا إلى حافة جدول ماء.. وهناك رأوا أمامهم كومة من الخشب التى أقامها الهنود وترقد فوقها جثة الأمير التى سيتم إحراقه فى نفس الوقت مع الفتاة.. وكان المعبد يقبع على الجانب الآخر من هذه الكومة على مسافة مئات قليلة من الأقدام..

وقال السائق فى صوت منخفض:

- اتبعونى..

وبعد قليل وصلوا إلى المعبد..كان حوله الحراس الهنود نائمين.. لكن لسوء حظهم وجدوا من بينهم رجلين غير نائمين.. كانوا يمشون ذهاباً وإياباً أمام أبواب المعبد للحراسة.. هذا مع احتمال وجود رجال يحرسون الداخل أيضاً.. وتوقف الهندى ولم يخط خطوة واحدة بعد ذلك.. بعد أن أيقن استحالة الدخول إلى المعبد عن طريق أبوابه.. وعاد إلى رفاقه.. وأطلعهم على الأمر.. وأخذوا يتباحثون.. وأخيراً قال سير فرانسيس:

- دعونا ننتظر.. إنها الساعة الثامنة فقط.. وربما سيخلد هؤلاء الرجال للنوم أيضاً.. فيما بعد..

وقال (باسبارتو):

- أجل.. ربما سينامون..

وهكذا رقد (فيلياس فوج) ورفاقه أسفل شجرة وانتظروا.. وكان الوقت طويلاً.. ومملاً.. وكان الهندى يتركهم أحياناً ليراقب ما يحدث من بعيد.. وبقوا على حالهم هكذا حتى منتصف الليل..

***

بعد فترة طويلة لم يحدث أى تغيير في الوضع.. فلا يزال الحراس من رجال الدين فى حراستهم.. بل وكان من الواضح أنهم لا ينوون النوم.. ولم يعد أمامهم سوى تنفيذ الحل الآخر.. وهو عمل فتحة في جدار المعبد.. ولكن كان السؤال: هل رجال الدين داخل المعبد يقومون بالحراسة بنفس الطريقة التى يقوم بها هؤلاء الذين فى الخارج؟

بعد مداولات أخيرة.. قال الهندى : إنه مستعد أن يبدأ.. فتحمس الآخرون لاتباعه..

وبعد نصف ساعة وصلوا إلى المعبد من الخلف دون أن يقابلوا أى أحد.. لم تكن هناك حراسة على هذا الجانب.. حيث كان لا يوجد أبوب ولا نوافذ..

كانت ليلة مظلمة.. والقمر منخفض فى السماء.. يكاد يختفى وراء السُحب.. وكانت هناك مجموعة من الأشجار الكثيفة.. وكان عليهم أن يصلوا إلى جدار المعبد.. ليثقبوه على أن يدخل واحد منهم المعبد.. ولتنفيذ ذلك.. لم يكن لدى (فيلياس فوج) ورفاقه سوى سكاكين الجيب الصغيرة.. ولحسن الحظ كان الجدار مصنوعاً من الخشب..

وبدأوا فى عملهم بأقل ضجة ممكنة.. ونجح الهندى وباسبارتو فى عمل الفتحة.. وفجأة سمعوا صرخة من داخل المعبد.. وفى نفس الوقت سمعوا صرخة أخرى من الخارج..

فتوقفوا عن عملهم.. ماذا حدث؟ هل سمعوهم وهم يحفرون؟

وعادوا ثانيةً إلى مخبئهم بين الأشجار يترقبون.. ومضى الوقت ولم يسمعوا إلا السكون.. فعادوا إلى جدار المعبد.. وتتطلعوا من خلال الفتحة التى حفروها.. فرأوا الرجال الذين بالداخل وكانوا يقومون بالحراسة حول المكان الذى تنام فيه الفتاة..

***

من الصــعب وصــف خيبة أمل الرجال الأربعة لقد أصــبحوا قريبين جداً من المرأة التى رغبوا فى إنقاذها.. ولكنهم لا يسـتطيعون ذلك.. لقد فشـلوا فى مهمتهم بعد كل هذه المجهودات.. وأخذ سـير فرانسـيس يعض على أصـابعه غيظاً.. وكان (باسبارتو) فى حالة غضب عارم.. ولم يستطع الهندى أن يخفى أحاسيسه.. أما (فوج) فلم يظهر عليه أى انفعال على الإطلاق بل كان هادئ كما هو دائماً.. وقال سير فرانسيس بصوت هادئ:

- الشيء الوحيد الذى يمكننا عمله هو أن نمشى من هنا.

وقال الهندى:

- يجب أن نبعد عن هنا.. هذا كل ما يمكنا عمله..

ولم يقل باسبارتو شيئاً.. أما (فيلياس فوج) فقال:

- دعونا ننتظر.. إنى لا أحتاج للوصول إلى (الله أباد) قبل ظهر الغد..

فقال سير فرانسيس:

- ولكن بماذا تأمل؟ بعد ساعات قليلة سيأتى ضوء النهار وعندئذ..

فأجاب فوج:

- قد تسنح الفرصة التى نأملها فى آخر لحظة..

تعجب سير فرانسيس من تفكير فوج.. على أى شيء يعتمد هذا الإنجليزي البارد؟

هل سيلقى بنفسه على المرأة الشابة ويحملها فى اللحظة التى يبدأ الهنود فى حرقها؟

إن حاول عمل ذلك فسيكون هذا تصرف مجنون.. ولكن (فيلياس فوج) ليس بالرجل المجنون.. وهكذا قرر سير فرانسيس أن ينتظر حتى النهاية..

ولم يســمح الهندى المخلص لرفاقه أن يبقوا فى المكان الخطير الذى هم فيه.. فجعلهم يرجعون إلى مكان أكثر أمناً بين الأشجار حيث يمكنهم رؤية كل شيء.. دون أن يراهم أحد..

***

ولكن (باســبارتو) كانت لديه فكرة وبدأ يضــع خطة وهو جالس على الفروع المنخفضــة من إحدى الأشــجار.. فكر فى البداية:

- يا لها من خطة غبية! لا يمكن أن تنجح..

ولكنه فكر بعد ذلك:

- لم لا؟ إنها فرصة وربما هى الوحيدة!

ولذلك.. بدأ عندئذ بالزحف على الأفرع المنخفضة من الشجرة التى كانت نهايتها تتجه نحو الأرض..

ومرت الساعات.. وأخيراً بدأت تظهر علامات اقتراب شروق الشمس.. وجاءت اللحظة.. واستيقظ الرجال النائمون.. وبدأ الإنشاد والصراخ مرة أخرى.. والآن سيحملون الفتاة المسكينة إلى حتفها..

وفُتِحَت أبواب المعبد.. واستطاع مستر (فوج) وسير فرانسيس كرومارتي أن يرونها ورجال الدين يحملونها ويخرجون بها.. ولمدة لَحظة واحدة بدت وكأنها تحاول الهروب.. ولكنها رجعت إلى حالة النوم التى تسـببت فيها المادة التى أجبروها على تعاطيها.. وذهبت جمهرة من الهنود تجاه كومة الخشـب.. فتبعهم (فيلياس فوج) ورفاقه.. وبعد دقيقتين وصـلوا إلى جدول الماء الصـغير الذى تبعد عنه كومة الخشـب التى عليها جثة الأمير بما لا يزيد عن خمسـين خطوة.. وكان يمكنهم رؤية الفتاة وهى راقدة بجانبه.

وقاموا بإراقة الزيت على الخشب لكى يحترق بسهولة.. وأحَضَرَ رجال الدين النار.. وبعد لحظة بدأ الخشب يحترق.. وفى هذه اللحظة أمسك سير فرانسيس وسائق الفيل بمستر (فوج) من ظهره.. حيث إنه أراد أن يقفز إلى الأمام نحو النار.. ولكنه ألقى بهما على الأرض..

وانطلقت فى الفضاء صرخة رعب.. وألقى الهنود جميعهم بأنفسهم على الأرض فى حالة خوف..

لم يكن الأمير العجوز.. عندئذ ميتاً.. بعد كل ذلك.. لقد شـاهدوه وهو يهب واقفاً فجأة.. ويلتقط الفتاة فى ذراعيه.. وينزل من كومة الخشب وهو يحملها من بين سحب الدخان..

فسجد رجال الدين والآخرون ووضعوا رؤوسهم على الأرض.. ولم يجرؤ أي منهم أن يتطلع إلى المنظر المرعب.. وكان مستر (فوج) وسير فرانسيس فى حالة من الاندهاش العظيم.. وأحنى الهندى رأسه.. ولابد أن (باسبارتو) كان فى حالة مشابهة من الإنبهار..

وجاء الرجل الذى بُعث للحياة مرةً أخرى.. حاملاً الفتاة بين ذراعيه.. مسرعاً فى اتجاه المسـافرين.. واقتربَ منهم تماماً وقال:

- هيا بنا نذهب!

لقد كان الأمير العائد للحياة هو (باسـبارتو) نفسـه.. ففى أثناء الليل نزل متسللاً من فوق فروع الشـجر.. وتسـلق كومة الخشـب دون أن يلحظه الهنود.. وهناك فى الظلام ارتدى السـترة الذهبية الطويلة التى أخذها من جثة الأميرة الميتة ورقد بجانب الجثة..

وبهذه الطريقة.. وعندما جاءت اللحظة المناسـبة اسـتطاع أن يفعل ما فعل.. وتصرف بجسـارة بالغة.. وكان محظوظاً بدرجة كبيرة أدت إلى النجاح.. وفى لمح البصر اختفى الرجال الأربعة فى أعماق الغابة وحملهم الفيل بعيداً بالسرعة التى يقدر عليها..

ولكن الصراخ والعويل بين لهم أن الحيلة قد اكتشـفت.. إذا اسـتطاعوا مشـاهدة الجثة الحقيقية للأمير العجوز فوق الخشـب المحترق بكل وضـوح.. وعاد رجال الدين إلى رشـدهم وأدركوا أن الفتاة قد خطفت.. فحاولوا أن يتبعوا المسـافرين ويمسكونهم.. ولكن الوقت كان قد فات ..!

١٧ الله أباد

لقد نجح المسافرون.. وبعد ساعة كان (باسبارتو) مازال يضحك من نجاحه.. وأخذ سير فرانسيس الشاب الشجاع من يده.. وقال سيده:

- حسن!

وأجاب (باسبارتو) بأن كل الشرف يرجع إلى سيده.. إنه كان يرى الجانب الفكاهى فقط من العملية.. يأخذ في الضحك عندما يفكر أنه كان لفترة وجيزة يمثل دور الزوج الميت لفتاة ساحرة الجمال: أمير هندى عجوز!

أما بالنسبة للفتاة.. فلم يكن لديها أى فكرة عما قد حدث.. إذ كانت لا تزال نائمة فى غيبوبتها..

وشق الفيل طريقه بسرعة فى الغابة.. وبعد ساعة من مغادرة المسافرين للمعبد وصولاً إلى أرض منبسطة.. وعند الساعة السابعة توقفوا للحصول على قسط من الراحة.. وكانت الفتاة لا تزال فى نفس الحالة.. ولم يكن لدى سير فرانسيس أى قلق على حالتها.. إذ كان يعلم أنها بعد ساعات قليلة سوف تعود إلى وعيها.. وتصبح فى حالة طيبة.. إنما كان يخشى على مستقبلها.. فلقد قال لمستر (فوج): إنها إذا بقيت فى الهند.. فسوف يقبض عليها ثانية من قبل هؤلاء الذين يريدون قتلها.. ولن تكون فى أمان أبداً إلا إذا غادرت البلاد..

وأجاب (فيلياس فوج) بأنه سيفكر فى الموضوع وفى الساعة العاشرة وصلوا إلى الله أباد.. حيث تبدأ السكة الحديد من هذه النقطة مرة أخرى.. وتقطع القطارات المسافة من هنا إلى كالكتا فى أقل من أربع وعشرين ساعة..

وكان يتحتم على (فيلياس فوج) أن يصل كالكتا فى الوقت المناسب قبل إقلاع السفينة من هناك فى اليوم التالى ظهر ٢٥ أكتوبر متجهة إلى هونج كونج.. ووجد مستر (فوج) غرفة بالمحطة للفتاة لترتاح فيها.. وأرسل (باسبارتو) لشراء الملابس والأشياء الأخرى التى قد تحتاج إليها..

وعندما عاد ثانية إلى المحطة.. كانت الفتاة « عوده » فى حالٍ أفضل بكثير.. إذا استيقظت وأدركت بشكلٍ عام ما قد حدث.. كانت جميلة بكل المقاييس.. وكانت تتكلم اللغة الإنجليزية بطلاقة.. وكانت فتاة فاتنة مثقفة..!

18 الذهاب إلى كالكتا

كان القطار على وشك أن يغادر محطة (الله أباد).. وكان السائق الهندى منتظراً.. وأعطاه مستر (فوج) النقود الذى وعده بها بلا زيادة.. وأدهش ذلك (باسبارتو) الذى كان يقدر كم كان الرجل مخلصاً.. ففى الحقيقة.. إذا سمع رجال الدين فى معبد بيللاجى فيما بعد كيف ساعد فى تهرب الفتاة التى كانوا سيحرقونها.. فلن يغفروا له مطلقاً.. وستكون حياته فى خطر..

وعندئذ ظهرت مشكلة الفيل.. ما الذى سيفعلونه فى هذا الحيوان الذى تم شراؤه بهذا السعرالباهظ؟

لكن (فيلياس فوج) كان قد اتخذ قراره.. فالتفت إلى الهندى وقال:

- لقد كنت مفيداً ومخلصاً.. لقد دفعت لك مقابل خدمتك ولكن لم أدفع لك مقابل إخلاصك و صداقتك.. هل تريد هذا الفيل؟ إن كنت تريده فهو لك..

فأجاب الهندى صارخاً:

- إنك تهبنى ثروة!

- خذه.. أيها الفتى الطيب.. وحتى عندئذ سأشعر بأننى مدين لك بالكثير..

فصاح (باسبارتو):

- رائع! خذه يا صديقى.. إنه مكافآتك!

***

وبعد دقائق معدودة كان (فيلياس فوج) مع سير فرانسيس كروماتى و(باسبارتو) سوياً مع الفتاة (عوده) فى عربة سكة حديد مريحة فى طريقهم تجاه بناريس.

كانت هذه البلدة تبعد عن (الله أباد) بثمانين ميلاً.. ولكنهم وصلوا إليها فى ساعتين..

وخلال هذه الرحلة عادت الفتاة تماماً إلى وعيها.. إذ يمكن تخيلها أكثر من وصفها.. كم كانت مندهشة لتجد نفسها فى ملابس أوروبية وجالسة فى عربة سكة حديد مريحة بين رفاق أغراب تماماً عليها!

وقال لها سير فرانسيس كرومارتي القصة التى تم إنقاذها بها وتكلم عن الكرم العظيم لفيلياس فوج.. الذى عرض حياته للخطر لإنقاذها.. وأخبرها كيف نجحت خطة (باسبارتو) الجريئة..

وإجابة لهذا المديح.. لم يقل مستر (فوج) شيئاً بينما قال (باسبارتو) ببساطة:

- أوه.. إن هذا لا يستحق الكلام عنه!

وشكرت (عوده) هؤلاء الذين أنقذوها بدموعها أكثر من كلماتها: لقد قالت عيناها أكثر مما قاله فمها.. ثم بدأت تفكر فى الوقت العصيب الذى مرت به.. وبالخطر عليها فى المعيشة بالهند.. وكانت فى حالة رعب..

وفهم (فيلياس فوج) ما تفكر فيه.. وليريح تفكيرها.. وليخفف عنها.. قال لها.. ولكن ببرود شديد.. بأنه سيأخذها إلى هونج كونج حيث يمكنها البقاء حتى تنقشع الغمة وينسى كل شيء..

أبدت (عوده) امتنانها.. حيث تصادف وكان أحد أعمامها يعيش هناك.. وهو أحد التجار الكبار بهذه المدينة ويقطن جزيرة بريطانية صغيرة ملاصقة لساحل الصين..

وعند الساعة الثانية عشرة والنصف توقف القطار عند ببناريس.. وهنا تركهم سير فرانسيس كرومارتى.. بعد أن تمنى لهم النجاح فى رحلتهم.. إذ قال:

- أملى أن تصلوا لندن فى الميعاد لتكسبوا الرهان..

أما (عوده) فقالت أنها لن تنسى مطلقاً مساعدته لها فى إنقاذها من الموت المرعب..

وصافحه (باسبارتو) بحرارة وبقوة لدرجة أن سير فرانسيس كان يصرخ من الألم.. أما مستر (فوج) فلمس يده بخفة وقال:

- شكرًا لك..

وغادر القطار متجها إلى كالكتا التى وصلها فى الصباح التالى فى الساعة السابعة.. ولم تغادر السفينة الميناء حتى منتصف النهار.. وهكذا كان مستر (فوج) مبكرًا عن موعده بخمس ساعات..

وعندما كان مستر (فوج) على وشك مغادرة المحطة.. جاءه شرطى وقال:

- مستر فيلياس فوج؟

فأجاب:

- أجل.. هذا اسمى..

فسأله الشرطى:

- هل هذا الرجل خادمك..

- أجل..

- أرجو أن تتبعاني..

لم يقم مستر (فوج) بأى حركة اندهاش.. كان الشرطى رجل قانون.. والقانون بالنسبة لكل إنجليزي شيء لا بد أن يُطاع.. ولكن لأن (باسبارتو) فرنسى فقد تساءل فى دهشة:

- ماذا تريد؟ ما معنى هذا؟ أخبرني أولاً..

ولكن الشرطى ربت على كتفه وقال له (فيلياس فوج) عليك أن تطيع.. وسأل (مستر فوج):

- هل يمكن لهذه الفتاة أن تأتى معنا؟

فأجاب الشرطى:

- ممكن..

وأخذهم الشرطى نحو عربة ذات أربع عجلات وجوادين.. وصعدوا.. وانطلقت العربة بهم.. ولم يتكلم أحد أثناء الرحلة.. التى دامت حوالى عشرين دقيقة..

وفى مركز الشرطة.. قادوهم إلى غرفة وأخبروهم بأنهم سيمتثلون أمام القاضى فى الساعة الثامنة والنصف وعندئذ تركهم الشرطى.. وأغلق عليهم الباب بالمفتاح..

فصاح (باسبارتو) قائلاً:

- حسن.. إننا محجوزون!

والتفت (عوده) إلى مستر (فوج) قائلة:

- يجب أن تتركنى! لقد قبضت الشرطة عليك بسببى! لأنك أنقذتنى!

فأجاب (فوج) ببســاطة بأن ذلك لا يمكن.. الامتثال أمام القاضى لإنقاذ امرأة ممن كانوا ســيحرقونها؟ مســتحيل.. لابد أن هناك خطأ ما.. وأضاف مستر (فوج) بأنه على أية حالة لن يتركها.. وسيأخذها معه إلى هونج كونج..

فقال (باسبارتو):

- ولكن السفينة تغادر الساعة الثانية عشرة!

فأجاب (مستر فوج):

- وسنكون على ظهر السفينة قبل الساعة الثانية عشرة..

قالها بطريقة جادة وطبيعية.. حتى إن (باسبارتو) كررها على مسامعه مندهشاً..

- الثانية عشرة..

- أجل.. طبعاً.. هذا أكيد.. سنكون على ظهر السفينة قبل الساعة الثانية عشرة.

19 أمام القاضي

وانفتح الباب عند الثامنة والنصف.. وجاء الشرطى وأخذ المساجين إلى القاعة.. ثم ظهر القاضى بعد ذلك بدقائق وجلس وهو يقول لحاجب المحكمة:

- ناد على القضية الأولى..

فنادى الحاجب:

- فيلياس فوج!

فأجاب فوج:

- أنا هنا..

- (باسبارتو)!

فأجاب (باسبارتو):

- أنا هنا!

فقال القاضى:

- حسن جداً.. لقد راقبنا القطارات من بومباى مدة اليومين الماضيين..

فسأل (باسبارتو):

- لكن لماذا؟ ماذا فعلنا؟

فقال القاضى:

- سوف ترى.. ناد على أصحاب الشكوى!

وانفتح الباب ودخل ثلاثة من رجال الدين إلى القاعة..

فقال (باسبارتو) لنفسه:

- هذا هو! هؤلاء هم الرجال الذين كانوا سيحرقون الفتاة!

ووقف رجال الدين أمام القاضى.. بينما قرأ الموظف الشكوى.. أن فيلياس وخادمه قد كسرا القانون بسلوكهما بشكل عنيف وفوضى وهما على أرض حرم المعبد.. وسأل القاضى:

- هل سمعتما الشكوى؟

فأجاب مستر (فوج) وهو يتطلع إلى ساعته:

- لقد سمعت..

- هل هذا حدث حقاً؟

- أجل.. هذا حدث حقاً.. وأنى لمنتظر لأسمع رجال الدين هؤلاء ليخبروك ماذا كانوا سيفعلون فى معبد بيللاجى عندما أوقفناهم..

فنظر رجال الدين إلى بعضهم البعض فى اندهاش.. وبدوا أنهم لم يفهموا ما قاله فوج..

وصرخ (باسبارتو) بنفاد صبر:

- أجل! فى معبد بيللاجى.. حيث كانوا سيحرقون الفتاة المسكينة!

فبدأ على رجال الدين الاندهاش أكثر وأكثر.. ولم يفهم القاضى شيئاً..

فسأل القاضى:

- يحرقون من؟ من كانوا سيحرقون فى وسط بلدة بومباى..

فصرخ (باسبارتو):

- بومباى؟

- أجل.. طبعاً.. إننا لا نعرف شيئاً عن معبد بيللاج.. إننا نتحدث عن معبد مالابار هيل.. فى بومباى..

وأضاف الموظف:

- والبرهان.. ها هو الحذاء..

ورفع الحذاء إلى أعلى.. فصرخ (باسبارتو):

- حذائي!

لقد نسىـ (فيلياس فوج) وكذلك خادمه تماماً ما قد حدث بالمعبد فى بومباى.. ولكن كان ذلك هو الســبب فى إحضــارهم للمثول أمام القاضى..

20 خطة مفتش الشرطة

كان (فيكس) مفتش الشرطة قد تمكن من أن يستفيد من حادث الحذاء.. لقد ذهب إلى معبد بومباى.. ونصح رجال الدين هناك بتقديم شكوى للحكومة.. وإذا فعلوا ذلك.. فإن الرجل الذى دخل المعبد بحذائه ثم ألقى برجال الدين على الأرض سوف يجبر على دفع غرامة كبيرة.. ووافق رجال الدين الذين جاءوا مع (فيكس) إلى كالكتا في القطار التالى..

وبسبب الوقت الذى قضاه (فوج) ورفاقه فى إنقاذ الفتاة.. وصل (فيكس) ورجال الدين إلى كالكتا أولاً.. وكان (فيكس) قد أرسل ببرقية من بومباى إلى بوليس كالكتا يخبرهم بإيقاف مستر (فوج) و(باسبارتو) عندما ينزلون من القطار.. لذلك خاب ظنه عندما علم أنهما لم يظهرا.. وفكر عندئذ أنهما قد نزلا فى إحدى المحطات للاتجاه إلى جنوب الهند.. وظل لمدة أربع وعشرين ساعة يقاسي من قلق رهيب.. ويراقب المحطة بعناية فائقة.. وجنى هذا الصباح ثمرة صبره عندما شاهد الرجلين يهبطان من القطار.. فأمر رجال الشرطة فى الحال بإيقافهما وإحضارهما أمام القاضى.. ولكن من تكون هذه الفتاة.. وكيف جاءت وانضمت للاثنين الآخرين.. لقد حيره ذلك.. ولم يستطع فهمه..

إذا كان (باسبارتو) قد أعار انتباهاً بسيطاً لهذه المشكلة.. لرأى مستر (فيكس) جالساً فى أحد الأركان ينصت باهتمام كبير لكل شيء يُقال..

وأشار القاضى بأن (باسبارتو) قد قال إن الحذاء كان حذاءه.. وقال موجهاً كلامه إليه:

- إذن.. أنت موافق بأن ما قد قيل قد حدث.. لقد كنت داخل المعبد بدون أن تخلع حذاءك..

فقال (باسبارتو):

- أجل !!

واستمر القاضى قائلاً:

- وطبقاً للقانون الإنجليزى.. فإن عقائد الهنود فى مثل هذه الأمور يجب أن تُحترم.. لقد ثبت بالدليل.. واعترفت أنت بأنك تصرفت بشكل غير لائق.. وغير محترم فى معبد مالابار فى بومباى فى يوم ٢٠ أكتوبر.. لذلك سيتم التحفظ عليك فى السجن لمدة أربعة عشرة يوماً مع دفع غرامة ثلاثمائة جنيه..

فصرخ (باسبارتو):

- ثلاثمائة جنيه؟

فأضاف القاضى:

- ورغم أنه لم يثبت أن (فيلياس فوج) له أى دخل بهذا الموضوع.. إلا أنه سيد هذا الرجل.. ولذلك يجب أن يعاقب على الإثم الذى ارتكبه خادمه.. فسيتم التحفظ عليه فى السجن لمدة سبعة أيام مع دفع غرامة مائة وخمسين جنيهاً..

كان (فيكس) سعيد جداً وهو يستمع للحكم.. فسوف يصل أمر القبض بالتأكيد قبل مرور السبعة أيام.. أما (باسبارتو) فكان فى حالة مزعجة.. لقد فشلت خطط سيده.. وسيخسر الرهان مع ثروته كلها.. وكل ذلك بسبب ذهابه إلى هذا المعبد مثل الغبى.

***

لم يظهر مستر (فوج) أى علامة لخيبة أمل وقال بهدوء:

- إننى أقدم كفالة..

فقال القاضى:

- من حقك..

لم يناسب ذلك مستر (فيكس) على الإطلاق.. ولكنه لم يحس بالقلق عندما سمع القاضى يقول:

- طالما أن (فيلياس فوج) وخادمه غريبان فستكون قيمة الكفالة ألف جنيه لكل منهما..

فقال (مستر فوج):

- سأدفع ذلك..

وأخرج من الحقيبة التى يحملها (باسبارتو) رزمة من الأوراق المالية ووضعها على المنصة.. ثم قال مستر (فوج) لخادمه:

- هيا تعال!

فصرخ (باسبارتو) فى صوت غاضب:

- لكن على الأقل يجب أن يعيدوا إلى حذائي!

ولما أعطوه حذاءه قال وكأنه يحدث حذاءه:

- لقد تكلف مبلغاً كبيراً من المال.. أكثر من ألف جنيه لكل فردة ! ومع ذلك فهى ليست على مقاسى تماماً..

وتبع (باسبارتو).. وهو فى حالة نفسية تعيسة.. (مستر فوج).. الذى قدم ذراعه لعوده.. وكان (فيكس) يأمل بأن اللص أى مستر (فوج) كما يظن لن يوافق على أن يخسر ألفى جنيه.. وأنه قد يدخل السجن لمدة سبعة أيام.. وعلى كل حال فقد بدأ يتتبعهم عن كثب..

أخذ مستر (فوج) عربة ومعه (عوده) و(باسبارتو).. وركض (فيكس) خلفهم إلى أن وصلوا الميناء.. حيث توقفت العربة..

وكانت الباخرة «رانجون» تقف على بعد نصف ميل فى عرض البحر.. كانت الساعة الحادية عشرة وكان مستر (فوج) مبكراً بساعة واحدة عن موعده..

ورآه (فيكس) وهو ينزل من العربة ومعه خادمه والفتاة.. ويأخذ مكانه فى الزورق الذى تحرك فى الحال فى اتجاه الباخرة «رانجون».. وكان المفتش فى قمة الغضب.. وصرخ:

- لقد ذهب! وذهبت الألفي جنيه.. أيضاً! اللص! السارق! سأتبعه حتى نهاية العالم.. ولكن بالمعدل الذى ينفق به النقود.. فلن يبقى لديه شيء من المبلغ الذى سرقه!

كان المفتش على صواب.. ففى الحقيقة منذ أن غادر لندن أنفق مستر (فوج) أكثر من خمسة آلاف جنيه.. وكان كلما قل المبلغ المضبوط مع السارق كلما قلت بالتالى مكافأة المفتش..

21 إلى سنغافورة

كانت «رانجون» سـفينة بخارية جميلة مصـنوعة من الحديد.. وكانت فى سرعة الباخرة مونغوليا.. ولكنها لم تكن مريحة مثلها.. ولكن على كل حال.. لم تكن المسـافة تزيد عن ثلاثة آلاف وخمسـمائة ميل من كالكتا إلى هونج كونج... وهى رحلة تستغرق أحد عشر أو إثنى عشر يوماً فقط..

بدأت (عوده) تتعرف على (فيلياس فوج) بشكل أفضل.. وأخبرته بامتنانها له لإنقاذه إياها.. وإحاطتها بعنايته واهتمامه.. وأنصتَ مستر (فوج) لها فى هدوء وبطريقته الباردة جداً.. كما كان يبدو على الأقل.. ولم يبد نحوها أى إحساس من أحاسيس الصداقة.. نعم كان يعاملها بأدب جم.. لكنه أدب روتيني ممل.. كان يهتم بأن تحصل على كل ما تحتاجه لراحتها.. وكان يأتى بانتظام لرؤيتها.. وإذا كان لا يتكلم كثيراً.. فهو على الأقل ينصت لها.. أما (عوده) فلقد وجدت صعوبة فى فهم سلوكه.. ولكن (باسبارتو) شرح لها بعضاً من طرق وعادات سيده.. وأخبرها.. أيضاً.. عن سبب رحلته حول العالم..

كما أخبرت (عوده) مسـتر (فوج) عن قصـة حياتها.. وتكلمت عن أعمامها.. الذين كانوا تجاراً أثرياء.. واحد فى بومباى.. والآخر الذى من المفترض أن تلتحق به كان مقيماً فى هونج كونج..

كان الطقس جميلاً والبحر هادئاً.. والسفينة البخارية تشق طريقها عبر خليج البنجال فى اتجاه سنغافورة..

وفى اليوم السابق لوصولهم إلى سنغافورة.. وَجَدَ (باسبارتو) نفسه فجأةً وجهاً لوجه مع مستر (فيكس)..

- ماذا! مستر (فيكس)! ماذا تفعل هنا؟ كنت أظن أنك فى بومباى؟ هل أنت مسافر حول العالم أيضاً؟

فأجاب مستر (فيكس):

- أوه.. كلا! أتوقع أن أتوقف فى هونج كونج.. على الأقل لبضعة أيام..

- لكن كيف لم أركَ على ظهر السفينة من كالكتا إلى هنا؟

- أوه.. لم أكن فى حالة صحية جيدة ففضلت البقاء فى غرفتى.. وكيف حال سيدك مستر فيلياس فوج؟

- إنه بخير.. أشـكرك.. وليس لديه تأخير فى رحلته.. حتى ولا يوم واحد.. آه.. مسـتر (فيكس).. يوجد خبر لا تعرفه أنت.. توجد فتاة معنا..

فقال (فيكس) متظاهراً بأنه ليس لديه فكرة عما يقصده (باسبارتو):

- فتاة؟!

وعندئذ أخبره (باسـبارتو) بالقصـة.. فقال له عن المغامرة فى بومباى.. وشرائهم للفيل بمبلغ ألفين من الجنيهات وكيف قاموا بإنقاذ (عوده) فى الغابة.. وكيف توقفوا فى كالكتا..

أما (فيكس) الذى كان يعرف الجزء الأخير من القصة فأخذ يتظاهر بأنه لا يعرف شيئًا على الإطلاق.. وسأل:

- ولكن.. هل سيدك ينوى أن يأخذ الفتاة إلى أوروبا معه؟

- كلا.. مستر (فيكس).. كلا.. إننا ببساطة سوف نتركها فى رعاية عمها التاجر الثرى فى هونج كونج..

فخاب ظن (فيكس).. لقد فكر فى موضـوع تهريب (عوده) بأنه قد يعطيه الفرصـة فى خلق مشـكلة جديدة فى هونج كونج..

- هل يمكننى أن أقدم لك شيئاً لتشربه يا مستر (باسبارتو)؟

فأجاب الشاب الفرنسى:

- شكراً.. يمكنك..

وبعد هذا الحديث.. التقى المفتش مع (باسبارتو) على ظهر السفينة كثيراً.. ولم يحاول (فيكس) أن يحصل على معلومات أكثر من رفيقه.. ولم ير مستر (فوج) إلا مرة أو مرتين وهو جالس فى «كابينته» يتحدث مع (عوده) أو يلعب الورق..

***

بدأ (باســبارتو) يفكر بشــكل جدي في التغير الغريب الذى جعل (فيكس) يبقى معهم.. وكان فى الحقيقة شيءٌ يثير الدهشة.. إنه هو نفس السيد الذى قابله أول مرة فى السويس.. ثم صاحبهم على الباخرة منغوليا.. ثم هبط فى بومباى حيث كان ســيبقى.. ثم يظهر على ظهر الباخرة رانجون فى طريقه إلى هونج كونج.. وفى الحقيقة.. كان يتبع مســتر (فوج) خطوة خطوة.. كان هذا يستحق التفكير فهو شيء شديد الغرابة.. وشعر (باسبارتو) بكل تأكيد أن (فيكس) سيغادر هونج كونج فى نفس الوقت الذى سيغادر فيه (مستر فوج).. وربما فى نفس المركب..

والحقيقة أنه حتى لو فكر (با سبارتو) فى الأمر لمئات المرات لما ا ستطاع أن يخمن الـسبب الحقيقى فى اقتفاء الرجل لأثر سيده.. ولن يتخيل مطلقاً أن مـستر (فوج) كان تحت المراقبة فى رحلته حول العالم على أ ساس أنه سارق.. ولكن (با سبارتو) مثل كل الناس كان يحب أن يجد تفسيراً لكل شئ.. وفى النهاية اقتنع بأنه وجد تفسيراً بدا له معقولاً جداً.. لقد شعر يقينا أن (فيكس) قد أُرسِلَ من قِبل أعضاء نادى الإصلاح ليرى أن الرحلة تنفذ بـشكل سليم طبقاً للاتفاقية.. وقال لنفسه وهو فخور بذكائه ومهارته:

- لابد أنه كذلك.. لقد أرسـلوه سراً للتأكد من أن سـيدى لا يتلاعب.. ولا يقوم بأية خدع.. آه! يا أعضـاء نادى الإصـلاح.. سوف تأسفون على هذا التصرف!

ولما رضى بهذا المبرر تعمد (با سبارتو) ألا يقول لـسيده شيئاً عن ذلك.. خوفاً على شعوره عندما يعلم بعدم ثقة أصدقائه فيه.. ولكنه وعد نفسه بأن يجعل منه موضوعاً فكاهياً مع مستر (فيكس).. وقد يتظاهر بأنه يعتقد أن مستر (فيكس) خادم فى شركة البواخر..

***

وبعد ظهر يوم الأربعاء ٣٠ أكتوبر مرت الباخرة رانجون عبر مضيق مالاكا التى تفصل جزيرة سومطره عن الملايو.. وكانت الجزر الصغيرة الجميلة بجوانب جبالها المنحدرة تخفى منظر سومطره عن المسافرين..

وفى الســاعة الرابعة من الصــباح التالى.. وصــلت الباخرة رانجون مبكرة نصــف يوم عن موعدها المعتاد.. وتوقفت فى سنغافورة لتأخذ مزيداً من الفحم..

دَوَنَ (فيلياس فوج) هذا الكسب فى مذكراته..

ونزل هذه المرة إلى الشاطئ مع (عوده) التى رغبت النزول فى جولة قصيرة..

أما (فيكس) الذى كان لايثق فى أى تحرك لفوج.. فتبعه سراً.. ونزل (باســبارتو) الذى تعجب عندما رآه يفعل ذلك.. ليشترى بعض الفاكهة من الشاطئ..

لم تكن جزيرة ســنغافورة كبيرة ولا ذات مظهر أخاذ.. ورغم أن معظمها جبال إلا أنها مكان جميل.. وبعد جولة بالعربة لمدة ســاعتين بين الغابات والتلال.. عادت (عوده) مع رفيقها إلى البلدة.. وفى الســاعة العاشرة صـعدا إلى ظهر الســفينة مع المفتش الذى لم يغب بصره عنهما.

وكان (باسـبارتو) ينتظرهما على ظهر السـفينة.. بعد أن اشـترى كميات من فواكه الجزيرة وقدم بعضًـا منها لعوده التى أبدت امتنانها له..

وفى الســاعة الحادية عشرــة.. بعد أن تزودت الســفينة بالفحم.. أبحرت خارج الميناء.. وبعد بضــع ســاعات لم يعد فى استطاعة المسافرين رؤية أى من الجبال المرتفعة والغابات المنتشرة فى مالاكا..

كانت هناك مسافة ألف وثلاثمائة ميل تفصل بين سنغافورة وهونج كونج.. الجزيرة البريطانية الصغيرة التى تقع على مشارف الساحل الصينى.. كان (فيلياس فوج) واثقاً من أنه لن يقضى أكثر من ستة أيام للوصول إلى هناك.. حتى يستطيع أخذ السفينة التى تغادر من هناك من السادس من نوفمبر إلى يوكوهاما.. إحدى المدن الرئيسية باليابان..

وتحول الطقس الذى كان جميلاًحتى الآن وتغير عندما وصل القمر إلى ربعه الأخير.. وأصبح البحر هائجاً.. وفى بعض الأوقات كانت الريح قوية ولكنها تهب لحسن الحظ من اتجاه الجنوب الشرقى.. وهو الاتجاه الصحيح للسفينة.. وكان القبطان يرفع الأشرعة معظم الوقت.. ومع المحرك البخارى كانت السفينة تشق طريقها بسرعة فائقة مارة بسواحل أنام.. وكوكين من أرض الصين..

ولكن لم تكن السفينة تسير بسرعة كافية لإرضاء (باسبارتو).. لقد شعر بالغضب من القبطان والمهندس وشركة السفن.. أما بالنسبة لمستر (فوج) فلم يظهر نفاد صبر أو قلق على الإطلاق..

***

وفى أحد الأيام قال له مستر (فيكس) :

- يبدو أنه متعجل جداً للوصول إلى هونج كونج..

فأجاب (باسبارتو):

- أجل متعجل جداً..

- هل تعتقد أن مستر (فوج) يتطلع للحاق بالمركب من يوكوهاما؟

- أجل: يتطلع بشوق شديد..

- إذن.. إنك تؤمن بهذه الرحلة حول العالم..

- أجل.. وأنت يا مستر (فيكس)؟

- كلا.. إنى لا أومن بذلك!

فأجاب (باسبارتو):

- إنك شخص ماكر!

جعلت هذه الإجابة المفتش يتساءل ماذا كان يقصد.. وشعر بعدم الراحة دون أن يدرى لماذا؟ هل أدرك الشاب الفرنسى حقيقة أمره...؟!

وفى يوم آخر ذهب (باسبارتو) إلى أبعد من ذلك..

إذا لم يستطع أن يخفى شعوره فقال:

- عندما نصل إلى هونج كونج يا مستر (فيكس).. أتساءل هل سيكون حظنا السئ أن نتركك هناك؟

فأجاب (فيكس) وهو لا يدرى تماماً ماذا يقول:

- حسن.. لا أدرى.. ربما..

فقال (باسبارتو):

- آه! إذا أتيت معنا سـأكون مسروراً جداً وطالما أنك خادم في شركة البواخر.. فلا يمكنك أن تتركنا خلال الرحلة.. أليس كذلك؟ في البداية.. كنت ذاهباً إلى بومباى فقط.. والآن ستصل قريباً إلى الصين! وأمريكا ليس بعيدة.. ومن أمريكا إلى أوروبا مجرد خطوة!

تطلع (فيكس) بحرص إلى (باسـبارتو).. الذى كانت على وجهه ابتسـامة عريضـة.. وقرر أن يتقبل ماقاله على أنها نكتة.. ولكن لم يتوقف (باسبارتو).. بل استمر قائلاً:

- هل تحصل على نقود كثيرة مقابل عملك هذا؟

فأجاب (فيكس):

- نعم ولا.. فهناك الأوقات الحلوة والسيئة.. ولكن بالطبع أنا أسافر مجاناً..

فصرخ (باسبارتو) وهو يضحك:

- أوه.. أنا متأكد من ذلك!

وبعد هذا الحديث عاد (فيكس) إلى غرفته وبدأ يفكر.. لابد أن (با سبارتو) علم من هو.. ويعرف أنه مفتش شرطة.. لكن هل أخبر سيده؟ وما دور (با سبارتو) فى هذه العملية؟ هل هو أحد لصوص البنك؟ هل (با سبارتو) و سيده يعلمان كل شئ؟ فى هذه الحالة يكون (فيكس) قد خسر اللعبة..

قضى (فيكس) عدة ساعات منشغلاً بذلك.. أحياناً كان يعتقد بأن كل شئ ضاع.. وأحياناً أخرى يأمل بأن (فوج) لا يعرف شيئاً عن الواقع الفعلى للأمور.. ولم يستقر على رأى فى طريقة تصرفه..

وفى النهاية قرر أن يتحدث بصراحة مع (باسبارتو).. إذا لم يتمكن من القبض على (فوج) فى هونج كونج.. وإذا كان (فوج) لن يبقى على الجزيرة.. فسيخبر (با سبارتو) عن كل شيء.. فإما أن يكون الخادم أحد اللصوص.. أو لا يكون.. وإذا كان.. فلن ينجح (فيكس).. وإذا لم يكن.. فسيكون عندئذ من مصلحة (باسبارتو) أن يساعد (فيكس) فى القبض على فوج..

هكذا وقفت الأمور بين هذين الرجلين.. وماذا عن (فوج) و(عوده)؟ لم يسـتطع (باسـبارتو) أن يفهم ما بينهما.. كان من الوا ضح أنها تشعر بامتنان شديد تجاه الرجل الإنجليزى.. ولكن ما هو شعور (فوج) نحوها.. كان بالتأكيد على ا ستعداد أن يحميها دائماً.. ولكن بالتأكيد لم تكن علاقته بها علاقة حب.. ولم يكن يبدو على (فوج) إطلاقاً أى قلق بخصـوص فرصـته فى كسـب الرهان أو خسـارته.. أما الشـخص الذى كان قلقاً لذلك فهو (باسـبارتو).. وفى يوم ما بينما كان يراقب الماكينة الكبيرة للمركب صرخ قائلاً:

- لا يوجد بخار كفاية.. إننا لا نتحرك! أن هؤلاء الرجال الإنجليز يخشـون اسـتخدام البخار.. آه لو كانت هذه سـفينة أمريكية.. لكانت الماكينات تتوهج.. ولكننا يجب أن نتحرك بسرعة أكبر!

***

كان الطقس سـيئاً إلى حد ما خلال الأيام الأخيرة من الرحلة.. أخذت الريح تهب بشـكل قاس للغاية من جهة الشـمال الغربى.. أى من الاتجاه المعاكس.. وكانت السفينة تترنح فى البحر الهائج وكان المسافرون فى تعب شديد بسبب دوار البحر..

وفى اليومين الثالث والرابع من نوفمبر زاد البحر هياجاً.. وأخذت سرعة السـفينة تقل.. وإذا لم تكن الريح تهب لتأخرت السـفينة عشرـين سـاعة على الأقل.. وفى هذه الحالة سـيصـبح الوقت متأخراً للحاق بالباخرة المتجهة إلى يوكوهاما.. ولكن (فيلياس فوج) لم يُبدِ أى قلق على الإطلاق..

أما (فيكس) فكان سعيداً جداً.. فإذا وصلت الباخرة رانجون إلى هونج كونج بعد مغادرة السفينة المتجهة إلى يوكوهاما.. فلابد لفوج أن يبقى لبضعة أيام فى الجزيرة.. وهكذا رحب بالسماء الرمادية وبالرياح العاتية.. لقد كان مصاباً بدوار البحر.. ويشعر بإعياء شديد لكن ذلك لا يهم..

ويمكننا تخيل جَزَع (باسبارتو) بسهولة.. لقد ظل باقياً على سطح الباخرة طوال الوقت.. كان من المستحيل عليه أن يبقى فى غرفته.. كان يتسلق الصوارى[٦] ويساعد فى التحكم بالأشرعة.. قافزاً من جبلٍ إلى جبل.. هنا وهناك.. مسلياً البحارة بحركاته البهلوانية.. وكان يسأل القبطان والضباط والبحارة الذين كانوا يضحكون على ما يبدو عليه من قلقٍ وجزع.. كان يريد أن يعرف بالضبط إلى متى سيدوم هذا الطقس السيئ؟!

وأخيراً ومنذ بداية اليوم الخامس من نوفمبر خفتتْ حدة الرياح.. وبدأت تهب من الاتجاه الصحيح.. وأخذ البحر يزداد هدوءاً.. وازداد هدوء (باسبارتو) أيضاً بالإضافة إلى أن السفينة أخذت تسرع وتسرع..

ولكن من المستحيل تعويض الوقت الذى ضاع.. ولا حيلة فى ذلك ولم تظهر اليابسة إلا فى اليوم السادس عند الساعة الخامسة صباحاً.. كان (فيلياس فوج) يتوقع أن يصل هونج كونج فى اليوم الخامس.. كان متأخراً أربعاً وعشرين ساعة.. وبالتأكيد لن يقدر على اللحاق بالسفينة المتجهة إلى يوكوهاما..

وفى الساعة السادسة صعد مرشد الميناء إلى ظهر الباخرة رانجون.. واحتل مكانه فوق منصة الربان ليقود السفينة بخبرته ليدخل بها الميناء..

كان (با سبارتو) يود أن يذهب ليسأله إذا كانت السفينة المتجهة إلى يوكوهاما قد غادرت أم لا.. لكنه لم يجرؤ أن يفعل ذلك.. مفضلاً أن يحتفظ بآخر أملٍ له حتى اللحظة الأخيرة..

بينما تحدث عن مخاوفه لـ(فيكس) الذى حاول التخفيف عنه قائلاً:

- ليس هناك ما تقلق بسببه.. فإذا لم يلحق سيدك المركب إلى يوكوهاما.. فما عليه إلا أن يأخذ المركب التى تليها..

تسببت هذه الإجابة فى إغضاب (با سبارتو) بشكلٍ عنيف.. ولكن بينما لم يجرؤ (با سبارتو) على أن يسأل المرشد إلا أن (فوج) توجه إليه وسأله عن موعد السفينة التى تغادر هونج كونج إلى يوكوهاما..

فأجاب المرشد:

- غداً صباحاً..

فقال مستر (فوج) بدون إبداء أى اندهاش:

- آه.. حسن..

سمع (باسبارتو) هذه الكلمات وأراد أن يلقى بذراعيه محبة حول رقبة المرشد.. وسمع (فيكس) الإجابة أيضاً.. ولكنه كان يفضل كسر رقبة هذا المرشد!

سأل (مستر فوج):

- ما اسم الباخرة؟

فقال المرشد:

- الكارناتيك..

---

(٦) أعمدة السفينة.

- ألم يكن موعد مغادرة الكارناتيك بالأمس؟

- أجل.. يا سيدى.. لكن كان يجب إصلاح إحدى غلاياتها.. ولذلك لن تتحرك إلا فى الغد..

فأجاب مستر (فوج) وهو ينزل إلى أسفل السفينة:

- شكراً لك..

أخذ (باسبارتو) يد المرشد فى يده.. وصافحه بحرارة قائلاً:

- إنك شخص رائع!

لعل المرشد لم يدرك لماذا كان (باسبارتو) مسروراً منه لهذه الدرجة.. ومضى فى عمله..

وأخيراً رست الباخرة رانجون على الرصيف فى الساعة الواحدة.. ونزل منها المسافرون..

ولابد من الاعتراف بأن (فيلياس فوج) كان مستعداً بشكل غير عادى.. فلولا عطل الغلاية لكانت الكارناتيك قد غادرت هونج كونج فى اليوم السابق.. وكان على المسافرين إلى اليابان الانتظار أسبوع آخر حتى يحين موعد السفينة التالية.

وهكذا أصبح مستر (فوج) متأخراً عن خطته أربعًا وعشرين ساعة.. ولكن هذا لن يكون موضوعاً خطيراً للغاية.. حقاً إن السفينة التى ستقوم من يوكوهاما إلى سان فرانسسكو يجب أن تنتظر وصول الكارناتيك.. ولكن سيكون من السهل.. دون شك تعويض الأربع وعشرين ساعة حال عبور المحيط الهادى.. ولولا هذا التأخير غير المتوقع لمدة أربع وعشرين ساعة.. لكان مستر (فوج) يسير وفق الخطة التى وضعها فى لندن منذ خمسة وثلاثين يوماً!!

22 عم (عوده) يغادر البلاد

كانت الكارناتيك ستغادر هونج كونج فى الصباح التالى فى الساعة الخامسة.. وهكذا كان أمام مستر (فوج) ستة عشرة ساعة.. يمكنه خلالها أن يقوم بتوصيل (عوده) لعمها وتركها عنده..

نزل مستر (فوج) والفتاة و(باسبارتو).. وبعد قليل وجدوا أنفسهم فى فندق كلوب.. وتوجه مستر (فوج) بمفرده ليعثر على العم الهندى الذى سيترك الفتاة فى رعايته.. وفى نفس الوقت أمر (باسبارتو) أن يبقى فى الفندق حتى لا تشعر (عوده) بأنها وحيدة..

قام مستر (فوج) بزيارة أحد بيوتات الأعمال فى المدينة.. حيث كان متأكدا أن مستر جيجيه عم (عوده) معروف لديهم.. ولكنهم أخبروه بأن التاجر الهندى الثرى.. قد صفى أعماله من سنتين.. بعد أن كَوَنَ ثروةً كبيرة.. وذهب ليعيش فى أوروبا.. فى هولندا.. على حسب ما يعتقدون..

عاد (فيلياس فوج) إلى فندق كلوب.. وطلب مقابلة (عوده).. وأخبرها بأن عمها لم يعد يعيش فى هونج كونج.. وأنه من المحتمل أن يكون قد ذهب ليعيش فى هولندا..

ولم تحر(عوده) جواباً فى الحال واستغرقت فى التفكير للحظات ثم استفسرت

- ماذا سأفعل يا مستر (فوج)؟

- إنه أمرٌ بسيط للغاية.. تعال معنا إلى أوروبا!

- لكن لا أستطيع أن أسبب لك كل هذا الإزعاج..

- لا يوجد إزعاج على الإطلاق.. (باسبارتو)!

فأجاب خادمه:

- نعم يا سيدى..

- اذهب إلى الكارناتيك واحجز ثلاث كبائن..

وانطلق (باسبارتو) ليقوم بذلك.. وهو مسرور لوجود الفتاة الهندية المهذبة فى صحبتهما..

23 إلى أمريكا

وفى الميناء وجد (فيكس) يذرع الرصيف ذهاباً وإياباً وعلى وجهه نظرة خيبة أمل.. وكان عنده حق فى خيبة أمله.. إذا أن تصريح القبض على مستر (فوج) لم يصل هونج كونج.. لابد أنه فى الطريق.. ولكنه قد يصل بعد فوات الأوان.. فمن بعد هونج كونج سيكون مستر (فوج) خارج نطاق القانون الإنجليزي.. وبالتالى لا يمكن القبض عليه.. فإذا لم يستطع (فيكس) أن يؤخره بضعة أيام فى هونج كونج.. فسوف يفلت وقد يهرب كليةً..

وأخذ (باسبارتو) يفكر ويقول لنفسه:

- يبدو أن الأمور ليست على ما يرام مع سادة نادى الإصلاح..

وتوجه إلى (فيكس) بابتسامة عريضة وسأله:

- حسناً يا مستر (فيكس).. هل قررت أن تأتى معنا إلى أمريكا..

فأجاب (فيكس) والكلام يخرج من بين أسنانه:

- أجل.. إنى مضطر لذلك..

فصاح:

- أعرف ذلك.. إننى متأكد من أنك لا تقدر على فراقنا.. فلتأت وتطلب كابينة..

وذهبا إلى مكتب شركة البواخر.. وهناك أخبرهما الموظف المسئول عن المكتب أنه طالما قد انتهت الإصلاحات التى فى الكارناتيك فستغادر السفينة فى ذلك المساء فى الساعة الثامنة.. بدلاً من صباح الغد كما كان الترتيب من قبل..

فأجاب (باسبارتو):

عظيم جدًا.. إن هذا يناسب سيدى.. سأذهب لأزف له هذا الخبر ...!

وفى هذه اللحظة توصل (فيكس) إلى قرار.. سوف يخبر (باسبارتو) بكل شيء.. هذه هى الطريقة الوحيدة للإمساك بـ(فيلياس فوج) لبضعة أيام فى هونج كونج.. فعند مغادرة المكتب قال (فيكس):

- طالما لديك متسع من الوقت؟.. دعنا نذهب لنشرب شيئاً!

فأجاب (باسبارتو):

- حسن جداً.. ولكن لا يجب أن نبقى طويلاً!

ودخلا مكانًا للشرب: عبارة عن قاعة يوجد فى نهايتها فراشٌ كبير يرقد عليه أناس كثيرون يغطون فى النوم.. وهناك حوالى ثلاثين رجلاً يجلسون على الموائد يحتسون الخمر..

جلس (فيكس) و(باسبارتو).. وطلب (فيكس) زجاجتين من النبيذ.. الذى وجده الشاب الفرنسى- يوافق ذوقه فاحتسى- كأساً.. كأسين.. ثلاثةا.. ثم المزيد.. تحدث عن مواضيع مختلفة.. وبصفة خاصة عن الفكرة الطيبة لقيام (فيكس) بالسفر معهم على الكارناتيك.. وعندما تحدث عن هذه السفينة تذكر (با سبارتو) بأنه يجب أن يذهب ليخبر سيده عن تغير ساعة الإبحار.. فنهض واقفاً.. فقال له (فيكس):

- انتظر لحظة!

- حسن يامستر (فيكس).. ماذا لديك؟

- أريد أن أخبرك بشئ خطير..

فصرخ (باسبارتو) وهو يحتسى المزيد من النبيذ:

- شئ خطير! حسن سنتحدث عنه غداً.. أما اليوم فليس لدى وقت..

فقال (فيكس) وعلى وجهه نظرة غريبة:

- انتظر.. أنه عن سيدك..

تطلع (باسبارتو) إلى (فيكس) فرأى النظرة الغريبة على وجهه.. فجلس مرة أخرى.. وسأله:

- ماذا تريد أن تخبرنى به؟

وضع (فيكس) يده على ذراع صاحبه وقال بصوت منخفض:

- هل عرفت من أنا؟

فأجاب (باسبارتو) مبتسماً:

- طبعاً عرفت!

- إذن سأخبرك بكل شيء..

- والآن قبل أن أعرف كل شئ! دعنى أقول لك : إن هؤلاء السادة ينفقون أموالهم سدى..

فقال (فيكس):

- سيدى.. من السهل إدراك أنك لا تعرف كم مبلغ المال..

- أجل أعرف.. عشرون ألف جنيه..

فأجاب (فيكس):

- كلا.. خمسة وخمسون ألف جنيه..

فصرخ (باسبارتو):

- ماذا! خمسة وخمسون ألف جنيه!

ثم أردف وهو ينهض مرة أخرى قائلاً:

- حسن.. هذا سبب أعظم يحتم على ألا أضيع دقيقة واحدة..

فأجاب (فيكس) الذى أجبر (باسبارتو) على الجلوس مرة أخرى:

- أجل.. خمسة وخمسون ألف جنيه!

***

وهنا طلب (فيكس) زجاجة أخرى.. ولكن هذه المرة طلب مشروباً أقوى بكثير من النبيذ..

- وإذا نجحت.. سوف أحصل على ألفى جنيه.. واستمع إلىَّ: إذا ساعدتنى.. فسأعطيك نصف هذا المبلغ.. هل تقبل ألف جنيه مقابل مساعدتى؟

وصرخ (باسبارتو) وعيناه مفتوحتان لآخر مدى..

- أساعدك؟

- أجل.. تساعدنى أن يقيم مستر (فوج) لبضعة أيام فى هونج كونج..

فصرخ (باسبارتو):

- ما هذا! ماذا تقول؟ لماذا! ألا يكفى أنكم تتبعون سيدى.. وتشكون فيه؟.. والآن يريد هؤلاء السادة أن يضعوا العراقيل فى طريقه! إننى أشعر بالخجل من أجلهم!

فسأل (فيكس) الذى لم يفهم شيئاً مما قاله (باسبارتو):

- ماذا تقصد؟ عن ماذا تتكلم؟

- إننى أقصد ما أقول.. إنه خداع.. وعمل غير شريف! وكأنك تريد أيضاً أن تأخذ النقود من جيب (مستر فوج)!

فأجاب (فيكس):

- هذا ما نأمل فيه بالضبط!

فصاح (باسبارتو): الذى احتسى كأساً وراء أخرى من الزجاجة الجديدة.. ولا ينتبه فى ثورته لما يفعله:

- إنها خدعة.. أحب أن أقول لك.. خدعة ماكرة.. (بسخرية) ويسمون أنفسهم السادة.. وبدا (فيكس) لا يفهم شيئاً.. وصرخ (باسبارتو):

- أيها الأصدقاء! أعضاء نادى الإصلاح.. اسمحوا لى أن أقول لكم : إن سيدى رجل شريف.. وعندما يراهن يحبُ أن يكسب رهانه بأمانة وشرف..

فسأله (فيكس):

- ماذا تعتقد؟

فأجاب (باسبارتو):

- من أنت؟ إنك مُرسلٌ من قبل أعضاء نادى الإصلاح لمراقبة سيدى... وهذا عمل يجب أن يخجلوا منه.. أوه.. لقد عرفت من تكون منذ مدة ولكنى كنت على حذر بألا أقول أى شيء لسيدى عن هذا الموضوع!

فسأل (فيكس):

- هل يعرف أى شيء؟

فأجابا (باسبارتو) وهو يفرغ كأسه مرة أخرى:

- لا شيء!

بدأ المفتش يفكر.. ويقدح زناد فكره.. وسكت برهة.. ماذا يجب أن يعمل؟ إن اللبس الذى وقع فيه (باسبارتو) جعل خطة المفتش أكثر صعوبة.. كان من الواضح أن (باسبارتو) رجلا شريفاً وصريحاً للغاية.. وليس له أى دخل فى السرقة.. وهذا ما كان يخشاه (فيكس).. فقال لنفسه:

- حسن.. طالما أنه ليس له دخل بالسرقة فسوف يساعدنى!

***

وعقد المفتش عزمه للمرة الثانية.. علاوة على أنه لا يوجد وقت لإضاعته.. يجب أن يقبض على (فوج) فى هونج كونج.. فقال (فيكس):

- اسمع.. اسمعنى وانتبه.. أنا لست كما تفكر أننى لست مرسلاً من قبل أعضاء نادى الإصلاح..

فقال (باسبارتو):

- إننى لا أصدقك!

- إننى مفتش سرى مرسل من قِبَل شرطة لندن..

- أنت مفتش سرى من لندن..؟!

- أجل.. وأستطيع أن أثبت ذلك.. انظر إلى أوراقى..

وأخرج أوراقه من جيبه وناولها له.. فتطلع (باسبارتو) بانتباه شديد إليها ثم إلى (فيكس).. وألجمت الدهشة لسانه.. كانت الأوراق عليها توقيع رئيس الشرطة.. وقال (فيكس):

- هذا الرهان.. ما هو إلا خدعة.. فبرهانه أنه يذهب حول العالم فى ثمانين يوماً جعلك وأعضاء نادى الإصلاح تساعدونه على الهروب من الشرطة..

- هرب.. لماذا يريد أن يهرب من الشرطة؟ ما الذى اقترفه؟

فقال (فيكس):

- إسمع.. فى الثامن والعشرين من سبتمبر الماضى سُرِقَ من بنك إنجلترا مبلغ خمسة وخمسون ألف جنيه.. وجاءتنا أوصاف الرجل الذى سرقه.. ها هى الأوصاف أنها أوصاف سيدك بالضبط.

فصرخ (باسبارتو) وهو يضرب المائدة:

- مستحيل.. إن سيدى أشرف رجل فى العالم!

فقال (فيكس):

- كيف تعلم ذلك؟ إنك حتى لا تعرفه جيداً.. لقد أصبحت خادمه فى اليوم الذى سَرَقَ غادر فيه إنجلترا.. وغادرها فى عجلة من أمره وبدون أمتعة.. والسبب الوحيد الذى برَّرَ به ذلك هو رهانه الأحمق.. وأخذ معه مبلغاً ضخماً من المال.. فهل تريد أن تقول لى : إنه رجل شريف؟

فأجاب الشاب المسكين:

- أجل.. أجل.. أنا على يقين..

- هل تعلم بأنك ستُتهم بمساعدته.. وسيُقبضُ عليك معه؟

كان (باسبارتو) ممسكاً برأسه بين يديه.. لقد تغير وجهه.. ولم يجرؤ على النظر فى وجه المفتش ماذا؟ (فيلياس فوج) لص؟ لكنه تصرف بالضبط كما يتصرف اللص.. وكانت المظاهر ضده.. حاول (باسبارتو) ألا يصدق ما قاله (فيكس).. ورفض أن يظن بسيده أى سوء..

***

عندها كان (باسبارتو) شرب الكثير حتى أصبح من الصعب عليه أن يفكر بوضوح.. وسأل المفتش فى النهاية:

- حسن ماذا تريد منى أن أفعل؟

فأجاب (فيكس):

- اسمع.. لقد تبعت مستر (فوج) إلى هنا.. ولكنى لم أتسلم بعد التصريح بالقبض عليه.. لذلك يجب عليك أن تساعدنى لمنعه من مغادرة هونج كونج..

- أساعدك فى إبقائه هنا؟!

- أجل.. وسأقتسم معك الألفى جنيه التى وعد بها بنك انجلترا..

فصرخ (باسبارتو):

- أبداً!

وحاول أن يقف.. ولكنه سقط على الكرسى.. شاعراً بانهيار قوته وعقله..

فقال وهو يبذل كل جهده ليتكلم:

- مستر (فيكس).. حتى.. حتى إذا كان ما تقوله حقيقياً.. حتى لو كان لصاً.. اللص الذى تبحث عنه.. وهذا ليس حقيقياً.. فأنا فى خدمته.. لقد خبرته كرجل طيب وشجاع... ماذا؟ أساعدك على القبض عليه؟.. أبداً!.. ولا مقابل جميع الذهب الذى فى العالم.. فأنا لست من هذا الصنف من الرجال لأقوم بهذا النوع من الأشياء !

- هل ترفض؟

- أرفض!

فقال (فيكس)..

- حسن.. أنسى أننى قلت لك أى شيء.. وأشرب هذه لتريحك..

وسكب المفتش كأسًا مملوءة من الزجاجة.. وجعل الشاب الفرنسى يشربها..

وكان هذا كل ما يحتاج للانتهاء من (باسبارتو).. حيث لم يعد الشاب الفرنسي يستطيع الكلام.. وسقط بثقل من على كرسيه وتمدد على الأرض بلا حراك..

فقال (فيكس) لنفسه:

- عظيم.. لن يعرف مستر (فوج) بتغير موعد إبحار كارناتيك.. وإذا غادر.. فعلى الأقل سيغادر بدون صحبة هذا الشاب الفرنسى المشاغب !

ثم دفع الحساب.. ومضى..

24 (باسبارتو) لا يعود

وبينما كان يحدث كل هذا.. كان (فوج) و(عوده) يتجولان فى شـــوارع المدينة الإنجليزية.. ومنذ أن وافقت (عوده) على عرضه بأخذها إلى أوروبا.. بأن يفكر فيما تحتاجه للرحلة.. فرجل إنجليزي مثله قد يذهب حول العالم بلا أمتعة وبلا حقائب.. ولكن الوضع يختلف مع فتاة جميلة..

ولذلك كان من الضرورى أن يشترى لها بعض الملابس.. وجميع المستلزمات الأخرى التى تحتاج إليها فى السفر.. تصرف مستر (فوج) إزاء كل شيء بهدوئه المعهود.. وعندما قالت المرأة الشابة : إنه كان عطوفاً عليها للغاية نظر نحوها.. قائلاً:

- كل هذا جزء من خطتى.. أرجوك لا تتكلمى فى هذا الموضوع..

وبعد شراء كل اللوازم المطلوبة.. عاد مستر (فوج) والمرأة الشابة إلى الفندق.. حيث تناولا عشاءهما.. ثم عادت (عوده) إلى غرفتها حيث كانت مرهقة من المشى.. وقضى مستر (فوج) طوال المساء فى قراءة الصحف..

وبالرغم من كونه كان من النوع الذى يندهش لأى شيء.. لكن كان اندهاشـــه عظيماً لغياب (باســبارتو) وعدم رجوعه.. ولكن لعلمه بأن الكارتاتيك لن تغادر هونج كونج إلا فى الصــباح التالى.. فلم يعد يهتم الموضــوع.. ولكن فى الصــباح التالى لم يرد (باسبارتو) على الجرس الذى أخذ يطرقه مرات.. ومرات..

ولا أحد يدري ما فكر فيه مســـتر (فوج) عندما أخبروه بأن خادمه لم يعد بعد.. ومع ذلك أخذ حقيبة يده.. ونادى على (عوده) وطلب عربة لتأخذهما إلى رصيف الميناء..

كانت الساعة عندئذ الثامنة تماماً.. ومن المفروض أن تغادر الكارناتيك الساعة التاسعة والنصف.. وعندما جاءت العربة إلى باب الفندق.. جلس (فوج) وعوده في مقعديهما.. وبعد نصــف ســاعة وصــلا الرصــيف.. حيث علم مســتر (فوج) أن الكارناتيك قد غادرت فى الليلة الماضية.

كان مستر (فوج) يتوقع أن يجد السفينة وخادمه.. والآن عليه أن يتصرف بدونهما.. ومع ذلك لم ترتسم أى خيبة أمل فى وجهه.. ولما تطلعت (عوده) إليه بقلق وانزعاج قال لها بكل بساطة..

- هذا لا شيء.. هذا لا يهم !!..

***

فى تلك اللحظة كان هناك شــخص يراقب تحركاتهما.. أنه المفتش السرــى (فيكس) الذى خطا نحوهما وحياهما.. ثم قال مستفسراً من (مستر فوج):

- ألست أنت أحد رفاقى المسافرين على الباخرة رانجون التى وصلت بالأمس؟

فأجاب مستر (فوج) ببرود:

- أجل يا سيدى.. ولكن ليس لى الشرف بمعرفتك..

- معذرةً.. ولكننى كنت أتوقع العثور على خادمك هنا..

فسألت السيدة:

- هل تعلم أين هو؟

فأجاب (فيكس):

- ماذا! أليس هو معكما؟

فأجابت عوده:

- كلا.. إننا لم نرهُ منذ الأمس.. لعله قد أبحر على الكارناتيك؟

فأجاب المفتش:

- بدونكما؟ هذا شبه مستحيل.. ولكن اغفر لى سؤالى.. هل كنتما تتوقعان السفر على الكارناتيك..

- أجل..

- وأنا أيضـاً.. كنت أتوقع السـفر عليها.. وأُصِـبتُ بخيبة أمل كبيرة.. لقد غادرت الكارناتيك بعد إتمام الإصـلاحات التى أُجرِيَتْ لها قبل موعدها باثنتى عشرة ساعة بدون إخطار أحد.. والآن علينا أن ننتظر أسبوعاً للسفينة التالية.

أحس (فيكس) بالسـعادة وهو يلفظ كلمة «أسـبوع» فها هو (فوج) سـيبقى أسـبوعاً فى هونج كونج.. وهذا وقت كاف لاستلام التصريح.. وبمعنى آخر ابتسم الحظ أمام منفذ القانون.. ولكنه لم يحس بنفس السعادة عندما سمع كلمات (فيلياس فوج) التالية:

- ولكن لا بد وأن هناك سفنٌ أخرى غير الكارناتيك فى ميناء هونج كونج..

وأعطى مستر (فوج) ذراعه لعوده وذهبا للعثور على سفينة قد تكون على أهبة سفر.. وتبعهما (فيكس)..

ولكن فى البداية كان الحظ معاكسًا لــــ(مستر فوج).. لأنه ظل لمدة ثلاث سـاعات يذرع أرصـفة الميناء ذهاباً وإياباً بلا جدوى.. كان على اسـتعداد لاسـتئجار أية سـفينة لتأخذهما إلى يوكوهاما.. ولكنه لم يجد ولا واحدة.. وبدأ الأمل يعود إلى (فيكس) ثانية..

***

ومع ذلك لم يستسلم مستر (فوج) لليأس فى تنفيذ خطته.. وإذا لزم الأمر فسيذهب إلى ماكاو للعثور على مركب.. وجاءه بحار وسأله:

- هل تبحث عن مركب يا سيدى؟

فسأله (مستر فوج):

- هل لديك مركب جاهزة للإبحار؟

- أجل يا سيدى مركب صغيرة رقم ٤٣ أفضلهم جميعاً..

- هل هى مركب سريعة؟

- ما بين ثمانية وتسعة أميال فى الساعة.. هل تحب أن تراها؟

- أجل..

- ستراها.. هل تريد الذهاب فى نزهة؟

- أريد أن أذهب إلى يوكوهاما..

ففتح البحار عينيه وفمه مندهشاً وقال:

- أنت تمزح يا سيدى!

- كلا.. أننى لم ألحق بالكارناتيك.. ويجب أن أكون فى يوكوهاما خلال اليوم الرابع عشر من الشهر على أقصى تقدير لألحق بالسفينة المتجهة إلى سان فرانسيسكو..

فقال الربان:

- أنا آسف.. فهذا مستحيل..

- سأعطيك مائة جنيه فى اليوم علاوة على مائتى جنيه إذا وصلت هناك فى الموعد المطلوب..

- هل أنت جاد؟

- أجل..

مشى الربان ليفكر.. وتطلع إلى البحر وشعوره مُمزق بين الرغبة فى كسب هذا المبلغ الكبير من المال والخوف من الذهاب لهذه المسافة البعيدة فى مركب صغير..

وكان (فيكس) ينتظر فى حالة قلق هائل..

وأثناء ذلك التفت مستر (فوج) إلى (عوده) وسألها:

- هل ستخافين؟

فأجابت:

- معك يا مستر (فوج) لا أخاف..

وعاد الربان مرة ثانية.. فسأله (مستر فوج):

- ماذا قلت أيها الربان؟

- حسناً يا سيدى.. لا أستطيع أن أضع حياتى فى خطر ولا حياة رجالى وحياتكم فى مثل هذه الرحلة الطويلة بمركب صغير وفى هذا الوقت من السنة.. علاوة على أننا لن نصل فى الموعد.. فالمسافة ١٦٥٠ ميلاً من هونج كونج إلى يوكوهاما..

فقال (مستر فوج):

- ١٦٠٠ فقط

- نفس المسافة تقريبًا!

وتنفس (فيكس) الصعداء مرة أخرى ...!

أضاف الربان:

- ولكن.. هناك طريقة أخرى للخروج من هذا المأزق..

فسأل فيلياس فوج:

- وما هى؟

- بالذهاب إلى ناجازاكى.. بجنوب اليابان ألف ومائة ميل.. أو إلى شـــانغهاى ثمانمائة ميل من هونج كونج.. وبالذهاب إلى شانغهاى يجب أن نسير بمحاذاة.. ساحل الصين.. حيث يكون هذا أكثر أماناً.. وإلى جانب ذلك تهب الرياح فى ذلك الاتجاه فى هذا الوقت من السنة..

فأجاب فيلياس فوج:

- أيها الربان.. أننى أريد أن ألحق بالسفينة الأمريكية بيوكوهاما.. لا من شنغهاى أو ناجازاكى..

فأجاب الربان:

- لم لا؟ فسفينة سان فرانسيسكو لا تبدأ من يوكوهاما.. أنها تتوقف هناك وفى ناجازاكى.. ولكنها فى الحقيقة تبدأ رحلاتها من شنغهاى..

- هل أنت متأكد؟

- تماماً..

- ومتى تغادر السفينة شنغهاى؟

- فى اليوم الحادى عشر فى الساعة السابعة مساء.. وهكذا يبقى لدينا أربعة أيام.. أربعة أيام.. يعنى ستاً وتسعين ساعة.. وبسرعة ثمانية أميال فى الســاعة.. وهذا ممكن مع الريح الطيبة.. وإذا كان البحر هادئاً فســنتمكن من قطع الثمانمائة ميل التى تفصلنا عن شنغهاى..

- ومتى نستطيع الإقلاع؟

- فى خلال ساعة.. أنى فى حاجة لوقت كاف للحصول على الطعام على ظهر السفينة ثم أفرد الأشرعة!

***

- حسن جداً.. إننى أوافق.. هل أنت صاحب المركب؟

- أجل.. جون بونسبى.. صاحب السفينة تانكادير

- هل أعطيك جزءاً من المبلغ الآن؟

- إذا سمحت..

- إليك بمائتى جنيه يا سيدى..

وبعد قوله ذلك التفت (فيلياس فوج) نحو (فيكس) وأردف قائلاً:

- هل تحب أن تصحبنا فى هذه الرحلة؟

فأجاب (فيكس):

- سيدى.. لقد كنت سأطلب منك أن تأخذنى معك..

- حسن جداً.. سنكون على ظهر المركب خلال نصف ساعة..

وقالت (عوده) التى كانت قلقة جداً على اختفاء الخادم:

- ولكن المسكين (باسبارتو)..

فأجاب (فيلياس فوج) قائلاً:

- سوف أفعل ما فى وسعى من أجله..

وبينما كان (فيكس) غارقاً فى حالة عصبية سيئة ويحضر نفسه للذهاب إلى المركب.. ذهب الآخران إلى مركز شرطة هونج كونج بالميناء وأعطى (فيلياس فوج) وصفاً لـ(باسبارتو) وتركا مبلغاً من المال يكفيه للعودة إلى أوروبا.. ثم بعث فوج للفندق لإحضار أمتعتهما مرة ثانية وتوجها إلى المركب..

دقت الساعة الثالثة.. وكانت المركب رقم (٤٣) على استعداد لرفع أشرعتها..

وكان يوجد بجانب جون بونسبى أربعة رجال على المركب.. أربعة بحارة أقوياء وماهرين يعرفون بحر الصين تمام المعرفة.. كان جون بونسبى رجلاً فى حوالى الخامسة والأربعين من عمره.. له عيون حادة وجسم نشط.. من النوع الذى يوحى بالثقة..

و صعد (فيلياس فوج) مع (عوده) إلى ظهر المركب وكان (فيكس) قد سبقهما من قبل.. وهبطا إلى كابينة صغيرة ولكنها نظيفة.. وقال مستر (فوج) لـ(فيكس) الذى أحنى هامته دون إجابة:

- إننى آسف لعدم قدرتى لتقديم أى شيء أفضل..

لم يشعر المفتش بالسعادة بقبوله عرض مستر (فوج) الكريم.. وقال فى نفسه:

- إنه لص مؤدب جداً.. ولكنه لص على أية حال..

وفى الساعة الثالثة وعشر دقائق ارتفعت الأشرعة.. وكان المسافرون يجلسون على سطح المركب.. وكان مستر (فوج) و(عوده) يتطلعان بإمعان إلى الرصيف لآخر مرة أملاً فى ظهور (باسبارتو)..

وبينما (فيكس) تساوره بعض المخاوف.. إذ ربما يأتى الشخص سيئ الحظ الذى عامله معاملة سيئة.. وعندئذ لابد أن يفسر ما لا يأتى على هواء.. ولكن الشاب الفرنسى لم يظهر.. لا شك أنه مازال يعانى من كميات الخمر التى قدمها له..

وعندئذ انتزع جون بونسبى الحبال بعد فكها.. وبدأت التانكادير تمخر عباب البحر فى سرعة كبيرة تجاه الشمال..



لم تكن رحلة ثمانمائة ميل على سفينة من هذا النوع بدون أخطار.. وبحار الصين بطبيعتها هائجة.. وبصفة خاصة فى هذا الوقت من السنة.. وخلال ساعات النهار الطويلة شقت التانكادير طريقها عبر ما يسمونه بعنق الزجاجة من المياه الواقعة فى شمال هونج كونج.. وعندما وصلت السفينة إلى البحر المفتوح قال فيلياس فوج:

- لا أريد أن أقول ذلك أيها الربان.. كم هو من المهم لى الذهاب بأقصى سرعة ممكنة..

فأجاب جون بونسبى:

- أرجو أن تثق فى.. ولدينا الكثير من الأشرعة التى تسمح لنا بالاستفادة من الريح..

- حسن.. أن هذا هو اختصاصك أيها الربان وليس لى دخل به.. وأنا أضع ثقتى فيك..

كان (فيليس فوج) يقف مشدود الجسم فى استقامة البحارة يراقب الأمواج الهائجة بلا خوف.. والسيدة الشابة تجلس بالقرب منه تتطلع أيضاً إلى المياه الخضراء الداكنة وهى تندفع من حولهم.. سارحة بفكرها.. بلا شك.. فى مستقبلها.. ومن فوقها ترفرف الأشرعة البيضاء.. والسفينة تمخر عباب البحر للأمام كأنها طائر يطير عبر الهواء..

سجى الليل.. وكان القمر هلالاً.. وضوءه سيختفى لا محالة.. فالسحب كانت آتية تتوالى وراء بعضها من الشرق.. وبالفعل كانت قد غطت معظم السماء.. ورويداً رويداً تضيق الحصار على الهلال الوليد في السماء لتغطيه هو أيضاً..

كان (فيكس) واقفاً فى مقدمة السـفينة.. مبتعداً عن الآخرين.. فهو يعلم أن (فوج) يكره الكلام.. علاوة على أنه لا يريد أن يتكلم مع الرجل الذى أسدى له كثيراً من العطف.. كان يفكر أيضاً فى المستقبل.. لقد شعر يقيناً بأن (فوج) سوف يأخذ مركب سان فرانسيسكو لأمريكا فوراً دون أن يقف عند يوكوهاما حيث يكون فى مأمن.. أنها خطة رائعة..

بدلاً من مغادرة إنجلترا مباشرة إلى أمريكا.. كما قد يفعل معظم الناس لو كانوا فى مكانه.. فَضَّـلَ هو الإبحار حول ثلاثة أرباع الكرة الأرضـية لكى يصـل لأمريكا وهو مطمئن تماماً.. وهناك يكون قد نجح فى الهرب من الشرطة.. وينفق المال الذى سرقه.. ولكن ما الذى سيفعله (فيكس) عندما يصلون إلى أمريكا؟ هل يستسلم ويتوقف عن متابعة رجله؟ كلا.. وألف كلا! بل سيتعقبه حتى يمسك به..

إنه واجبه.. وسيقوم بأداء واجبه حتى النهاية.. وعلى أية حال فمن يُمن الطالع ما حدث لـــ(باسبارتو) حيث لم يعد مع سيده.. وكان من المهم ألا يلتقى السيد والخادم مرة أخرى..

وكان (فيلياس فوج) يفكر هو الآخر فى خادمه الذى اختفى بهذه الطريقة الغريبة..

ربما يكون اسـتطاع الإبحار على الكارناتيك.. وكانت (عوده) تأمل فى ذلك.. إنها فى أسـف عميق لفقدان هذا الخادم المخلص.. والذى تدين له بحياتها.. لعلهم يجدونه فى يوكوهاما!

وحوالى الساعة العاشرة ازدادت شدة الرياح.. وعند منتصف الليل هبط (فيلياس فوج) و(عوده) إلى أسفل السفينة حيث الكبائن.. بينما كان (فيكس) هناك من قبلهم وقد أخلد إلى النوم.. أما الربان ورجاله الأشداء فبقوا على سطح السفينة طوال الليل يؤدون عملهم!

***

وفى اليوم التالى.. الثامن من نوفمبر.. كانت السـفينة قد قطعت أكثر من مائة ميل.. كانت سرعتها ما بين ثمانية وتسـعة أميال فى الساعة.. كانت الأشرعة معبأة بالهواء.. وعلى هذا المعدل.. فالأمل كبير فى وصول السفينة وقطعها للمسافة فى وقت معقول..

وخلال هذا اليوم حافظت التانكادير على السير بمحاذاة الساحل وكان البحر يعب فى الجهة اليمنى..

ولم يصب مستر (فوج) ولا المرأة الشابة بدوار البحر واستمتعا بأكلة طيبة.. وقبل (فيكس) دعوتهما له لتناول الطعام معهما.. وكان عليه أن يقبل.. ولكنه لم يكن يحب ذلك .. لقد تكفل (فوجٍ) بتكاليف الرحلة.. فهل يتركه يتكفل مصاريف الوجبات أيضاً.. كان يستسيغ ذلك.. ومع ذلك قبل دعوتهما وتناول الطعام معهما..

ولكن عند الانتهاء من الطعام.. انتحى بمستر (فوج) جانباً وقال له:

- سيدى..

لم يكن يحب أن يقول هذه الكلمة «سيدى» للص سيقوم بالقبض عليه..

- سيدى.. لقد كنت كريماً معى بما فيه الكفاية لتوفر لى مكاناً على هذا المركب.. وبالرغم من أننى لست ثرياً.. وليس فى مقدورى أن أدفع ما يجب على أن أدفع.. لذا اسمح لى أن أدفع على الأقل ثمن الطعام..

فأجاب (مستر فوج):

- سوف لا نتكلم عن هذا الموضوع ثانية..

- ولكن.. أرجوك..

فقال فوج:

- كلا يا سيدى.. إننى أعتبر ذلك جزءاً من تكاليف رحلتى..

فانحنى (فيكس) ولم يرد القول طوال اليوم كله..

أبحرت السفينة بشكل طيب.. وكانت لجون بوذسبى آمال طيبة.. ولقد أعلن لمستر (فوج) أكثر من مرة بأنهم سيصلون شنغهاى حسب الموعد.. وأجاب مستر (فوج) ببساطة بأن ذلك كان ما يتوقعه.. وكان البحارة يعملن بجد.. متطلعين إلى المكافأة السخية التى سيأخذونها..

وفى ذلك المساء كانوا قد قطعوا مائتى ميل من هونج كونج.. وكان لدى (فيلياس فوج) كل الأسباب للتطلع آملاً الوصول إلى يوكوهاما فى وقت مبكر..

وفى الصباح المبكر كانت التانكادير تبحر بين جزيرة فورموزا وساحل الصين.. كان البحر هائجاً جداً فى هذه المنطقة.. وأصبحت حركات السفينة فى منتهى العنف.. حتى إن المسافرين وجدوا صعوبة كبيرة فى الوقوف.. وعندما أشرقت الشمس هبت الرياح بشكل أقوى ومُلئت السماءُ بسحبٍ سوداء..

وتطلع الربان للسماء بقلق وسأل فوج:

- هل تمانع أن أقول لك الحقيقة؟

فأجاب فوج:

- قل.. ولا تخفِ عن شيئاً!

- ستهب علينا عاصفة..

- من الجنوب أم من الشمال؟

- من الجنوب..

فقال (مستر فوج):

- هذا شيء رائع إذن.. لأنها ستدفعنا فى الاتجاه الذى نريده..

فأجاب الربان:

- هذا تفكيرك أنت فى الأمر.. ولكنى لا أستطيع أن أتكهن بأى شيء..

كان جون بونسبى على صواب.. فعواصف بحر الصين هذه كانت قاسية فى هذا الوقت من السنة.. وبسرعة تم إنزال جميع الأشرعة ما عدا واحد فقط .. وتم إحكام إغلاق جميع الأبواب والفتحات الأخرى حتى لا يتسرب منها الماء.. وانتظروا.. وطلب جون بونسبى من مسافريه أن يهبطوا إلى باطن السفينة.. ولكنهم لم يستطيعوا البقاء محبوسين فى كبائن معدومة الهواء.. لذا فضلوا البقاء على السطح..

***

وبدأت العاصفة فى حوالى الساعة الثامنة.. وانهمر المطر كالسيل.. وحتى بشراع واحد كانت السفينة تطير فوق الماء.. وأخذت الأمواج تتدفق فوق السطح طوال اليوم.. وعندما جاء المساء غيرت الريح اتجاهها وبدأت تهب من الشمال الغربى.. ولطمت الأمواج جانب السفينة فجعلتها تترنح بشكل مرعب.. ولحسن الحظ فإن التانكادير كانت مصنوعة بشكل محكم متين..

ولما جاء الليل ازدادت العاصفة عنفاً.. وكان جون بونسبى ورجاله فى منتهى القلق.. واتجه الربان نحو مستر (فوج) وقال:

- أعتقد يا سيدى أنه من الأفضل أن نتوجه إلى أحد الموانى القريبة..

فأجاب فيلياس فوج:

- وأنا أعتقد ذلك أيضاً..

- ولكن أى ميناء..

- إننى أعرف ميناء واحد

- وما هو؟

- شنغهاى!!

وبعد لحظات تفهم الربان معنى تلك الإجابة فقال:

- حسن جداً يا سيدى.. إنك على حق.. فلنذهب إلى شنغهاى!

وهكذا حافظت التانكادير على اتجاهها نحو الشمال.. ولكن فى بطء شديد.. وكانت ليلة مرعبة ومن العجيب أن السفينة لم تغرق فى البحر.. وكان مستر (فوج) يندفع المرة تلو الأخرى نحو (عوده) ليحميها من الأمواج الهائلة..

وأخيراً ظهر ضوء النهار.. والعاصفة مازالت عنيفة.. ولكن الريح غيرت اتجاهها إلى الجنوب الشرقى.. وكان ذلك أفضل.. بدأت السفينة تسير بسرعة مرة أخرى.. وأحياناً كان يظهر لهم ساحل الصين.. ولكن بلا مراكب.. كانت التانكادير هى الوحيدة فى البحر!

وعند منتصف النهار هدأت العاصفة بعض الشيء.. وعندما غربت الشمس بدأت الريح تهب أقل عنفاً.. واستطاع المسافرون أن يتناولوا قليلاً من الطعام ويرتاحوا..

وكان الليل هادئاً إلى حد معقول.. فرفع الربان بعضاً من الأشرعة.. وتحركت السفينة بسرعة كبيرة.. وفى الصباح التالى استطاع جون بونسبى أن يقول بأنهم لا يبعدون أكثر من مائة ميل من شنغهاى!!

إذن أمامهم مائة ميل.. ولديهم يوم واحد فقط يقطعون فيه هذه المسافة.. وإذا كان عليهم اللحاق بالباخرة المتجهة إلى يوكوهاما.. فلابد أن يصلوا شنغهاى فى نفس المساء.. ولولا العاصفة التى خسروا خلالها عدة ساعات.. لكن الآن أمامهم ثلاثين ميلاً فقط..

أخذت الريح تهب بقوة أقل.. ولكن من حسن الحظ أن البر زاد هدوءه فى الوقت نفسه.. وارتفعت كل الأشرعة فى الهواء.. وعند منتصف النهار.. أصبحت التانكادير على مسافة لا تزيد عن خمسة وأربعين ميلاً من شنغهاى.. ولم يعد باقياً إلا ست ساعات للحاق بالباخرة.. وخشى جميع من على السفينة من عدم اللحاق بالباخرة بسبب ضيق الوقت كان من الضرورى الإبحار بسرعة تسعة أميال فى الساعة.. ولكن الريح كانت تضعف طول الوقت.. ومع ذلك فالسفينة خفيفة وسريعة.. وكانت الأشرعة تلتقط الريح القليلة الموجودة.. وهكذا وجد جون بونسبى نفسه فى الساعة السادسة يتبعد أكثر من عشرة أميال عن نهر شنغهاى.. والمدينة نفسها تبعد اثنى عشرة ميلاً عن مصب النهر..

وعند الساعة السابعة كانوا على بعد ثلاثة أميال.. وهربت كلمة عنيفة من فم الربان.. لقد أصبح متأكداً من فقده مكافأة المائتى جنيه.. وتطلع إلى (فوج) الذى كان هادئاً تماماً.. رغم أن كل ثروته فى خطر..

وفى هذه اللحظة ظهر على مرمى البصر مدخنة طويلة سوداء.. يتصاعد منها دخان أسود.. إنها السفينة الأمريكية تبحر من شنغهاى فى موعدها المعتاد.. فقال فيلياس فوج:

بلغهم إشاراتك..

كان هناك مدفع نحاسى صغير فوق سطح السفينة.. وكان يستخدم لإعطاء الإشارات فى الوقت الذى يكثر فيه الضباب..

فملأ جون بونسبى المدفع بالبارود.. وقال (مستر فوج):

- اضرب!

وملأ زئير المدفع الآذان!

26 (سبارتو) يظهر على الكارناتيك

غادرت الكارناتيك هونج كونج فى السابعة من نوفمبر فى الساعة السادسة والنصف مساء.. وانطلقت بأقصى سرعة لمحركها البخارى متجهة إلى اليابان.. كانت تحمل على ظهرها مسـافرين كثيرين.. ولم يكن يوجد بها إلا كابينتان خاليتان فقط.. وهما الكابينتان اللتان كانتا سيستخدمهما (مستر فوج)..

وفى الصباح التالى شاهد الرجال على سطح السفينة.. بشيء من الدهشة.. مسافر بوجه غير مغسول وبشعر منكوش يخرج من كابينته ويصـعد على السـطح ويلقى بنفسـه على كرسى.. ولم يكن هذا المسـافر سـوى (باسـبارتو).. وهذا ما قد حدث..

فبعد أن غادر (فيكس) قاعة الشرب بدقائق قليلة.. رأى اثنان من الصينيين (باسبارتو) نائماً على الأرض.. فرفعاه وأرقداه على الفراش الكبير مع غيره من النائمين.. ولكن بعد ذلك بثلاث ساعات استيقظ المسكين.. متذكراً حتى فى أحلامه بأن هناك واجباً عليه أن يؤديه.. فقاوم نومه وسـم الخمر الذى يسرى فى دمه.. ووقف على قدميه.. وتمكن من العثور على طريقه إلى الشارع.. وهو يسير حيناً ويزحف حيناً.. مستنداً على الحائط حتى لا تخور قواه.. ويهوى على الأرض.. وأخذ يصرخ وكأنه فى حلم:

- الكارناتيك.. الكارناتيك..

وبصعوبة شق طريقه إلى رصيف الميناء.. وكانت السفينة راسية.. والدخان يتصاعد من مدخنتها.. فتعلق (باسبارتو) عليا وسقط على سطحها فاقد الحس.. وعندها أقلعت السفينة..

وحمله بعض البحارة المعتادين على هذا النوع من المسـافرين.. إلى أسـفل السـفينة وتركوه فى الكابينة.. فنام (باسـبارتو) حتى الصباح التالى بعد مسيرة مائة وخمسين ميلاً من هونج كونج..

هذا هو ما حدث.. وفي النهاية وجد (باسـبارتو) نفسـه عندئذ على سـطح الكارناتيك.. وأعاده الهواء المنعش إلى وعيه.. فبدأ يتذكر.. ولكن بشـئ من الصـعوبة.. ما قد حدث له فى الليلة السـابقة: قاعة الشرب.. ما قاله له (فيكس).. وباقى كل شيء..

فقال لنفسه:

- لابد إننى احتسيت كمية كبيرة من الخمر.. ماذا سيقول مستر (فوج) عنى؟ على أية حالة.. لقد لحقت بالمركب.. وهذا هو أهم شيء..

ثم فكر فى (فيكس):

- آمل ألا أرى وجهه بعد ذلك.. فبعد ما قاله لى سـوف لا يجرؤ على تعقبنا فى الكارناتيك.. مفتش شرطة سرى فى نيته أن يقبض على سيدى لسرقة نقود من بنك إنجلترا

وبدأ (باسبارتو) يتساءل هل يجب أن يخبر هذه القصة لسيده؟ هل يجب أن يحيطه علماً بـ (فيكس)؟ أليس من الأفضل الانتظار حتى يصلوا إلى لندن.. وعندئذ يخبره.. كيف تعقبه مخبر سرى حول العالم؟ يا لها من نكتة.. أجل.. هذا أفضل.. على أية حال سـيقرر ذلك فيما بعد.. أما الآن.. فأهم شيء هو أن يذهب ويقابل سـيده.. ويرجوه العفو عن سـلوكه فى الليلة الماضية.

***

وهكذا نهض (باسبارتو) من فوق كرسيه.. كان البحر هائجاً بعض الشيء.. والمركب تتلقفها الأمواج برشاقة.. وشق الشاب الطيب طريقه على قدر ا ستطاعته.. وهو لاعب أكروبات سابق.. وطاف بـسطح المركب كله ولكنه لم يجد أحداً يـشبه مـستر (فوج) أو (عوده) على الإطلاق.. فقال لنفسه:

- ربما لم تنهض السيدة بعد.. أم مستر (فوج) فربما وجد من يلعب معه الورق..

وهكذا نزل إلى القاعة الـسفلية.. فلم يجد (فوج) هناك أيضاً.. فذهب عندئذ إلى المكتب ليـسأل عن مكان كابينة (مـستر فوج).. فقال الرجل الموجود بالمكتب بأنه لا يوجد شخص بهذا الإسم على المركب.. فقال (باسبارتو):

- ولكن.. معذرة.. لابد ن يكون موجوداً على المركب..

ثم أعطى الموظف وصفاً لمستر (فوج) وأخبره بأنه معه سيدة شابة..

فأجاب الموظف قائلاً:

- لا يوجد على ظهر السفينة أية سيدة.. وهذه هى قائمة بأسماء المسافرين.. يمكنك أن تطلع عليها بنفسك..

فدقق (باسبارتو) فى القائمة.. ولم يعثر على اسم سيده بها.. فخطرت فى ذهنه فكرة مفاجئة..

- هل أنا على ظهر الكارناتيك؟

فأجابه الموظف:

- أجل..

- وفى الطريق إلى يوكوهاما؟

- بالتأكيد..

خشيـ (باســبارتو) للحظة أن يكون على ظهر مركب أخرى.. ولكن إذا كان هو على ظهر الكارناتيك.. فلابد أن يكون ســيده موجوداً عليها.. ثم تذكر كل شيء.. تذكر كيف تغير موعد الإبحار.. وأنه كان ذاهباً لتحذير سـيده.. ولكن لم يسـتطع تنفيذ ذلك.. إذن.. لقد كانت غلطته.. فى كون مستر (فوج) و(عوده) لم يستطيعا اللحاق بالمركب!

أجل.. غلطته.. ولكن السـبب فيها هو هذا الرجل الذى أراد الاحتفاظ بسـيده فى هونج كونج.. فأخذه إلى محل الخمور وجعله يفرط فى الشرب والآن.. لقد خسر مستر (فوج) الرهان بكل تأكيد.. ربما يكون قد تم القبض عليه! وربما يكون حتى فى السجن! وعندما فكر فى ذلك.. أخذ يمزق فى شعره.. آه! لو أمسك بـ (فيكس).. فكيف يسير على خداعه وخبثه!

وبعد ما مرت اللحظات المرعبة الأولى لاكتشـافه بدأ (باسـبارتو) يهدأ.. ويراجع موقفه.. إنه ليس بموقف سـعيد على الإطلاق.. أنه فى طريقه إلى اليابان لقد كان متأكداً من وصـوله إلى هناك.. ولكن كيف يخرج منها؟إنه خالى الوفاض.. وليس لديه نقود على الإطلاق.. كانت كابينته وطعامه مدفوعة تكاليفهما من قبل.. وهكذا لديه خمسـة أو سـتة أيام يمكنه خلالها أن يرسم خطة ما للمستقبل..

ومن المستحيل و صف كم أكل وشرب خلال الأيام الباقية من الرحلة.. لقد أكل وشرب ما يكفي لـسيده وعوده ولنفـسه.. لقد أكل وكأن اليابان بلد لن يجد به أى طعام على الإطلاق..

***

وفى صباح اليوم الثالث عشر وصل الكارناتيك إلى يوكوهاما.. وربطت بعد رسوها على الرصيف بين عدد كبير من السفن القادمة من جميع بلاد العالم..

وهبط (باســبارتو) إلى هذه البلاد العجيبة.. بلاد الشــمس المشرــقة وهو خائف.. وكل ما اســتطاع عمله هو أن يتجول فى الشوارع والصدفة دليله ومرشده.. فوجد نفسه فى الجزء الأوروبى من المدينة.. كما هو الحال فى هونج كونج.. حيث الشوارع مكتظة بالناس من جميع البلاد.. تجارٌ أمريكيون.. وإنجليز.. وصــينيون يرغبون فى شراء أو بيع أى شيء.. وشــعر (باســبارتو) بين كل هؤلاء الناس بالوحدة وكأنه قد أُلقِىَ به فى أواسط أفريقيا..

كان بالتأكيد يستطيع أن يفعل شيئاً واحداً.. أن يذهب إلى القنصلية الفرنسية أو الإنجليزية.. ولكنه كره فكرة أن يروى قصته وقصة سيده.. سوف يذهب إلى القنصل.. إذا فشل كل شئ آخر..

وذهب عند ذلك إلى الجزء الياباني من المدينة.. حيث شاهد المعابد والمنازل المشيدة بطرق عجيبة.. وكانت الشوارع هنا أيضاً مكتظة بالناس.. رجال دين.. ضباط يرتدون ملابس حريرية.. ويمتشق كل منهم سيفين.. بدلاً من سيفٍ واحد.. جنود يرتدون ستراتهم الزرقاء والبيضاء ويحملون البنادق.. صيادون.. شحاذون.. وعدد غفير من الأطفال..

أخذ (باســبارتو) يمشىــ بين هؤلاء الناس لعدة ســاعات.. متطلعاً إلى المناظر الغريبةِ عليه.. المحلات.. المطاعم بمأكولاتها العجيبة.. أماكن التسلية بقاعاتها الفسيحة.. ومع ذلك لم ير فى المحلات التى دخلها لحمةً ولا خبزاً.. وحتى لو رأى أياً منهما.. فهو لا يمتلك نقوداً.. لذلك قرر أن يمضى الليلة بلا عشاء..

***

وفى الصباح التالى شعر بالتعب والجوع.. لابد أن يأكل شيئاً بالطبع.. ومن الأفضل أن يكون ذلك بصفة عاجلة.. كان يمكنه أن يبيع ساعته.. لكنه كان يفضل أن يموت جوعاً على أن يفعل ذلك..

والآن.. هذا هو الوقت الذى يستطيع الاستفادة بصوته القوى الذى وهبته الطبيعة له.. ولو أنه غير مدرب موسيقياً.. كان يعرف قليلاً من الأغانى الفرنسية والإنجليزية.. فعقد العزم على محاولة ذلك..

ربما كان الوقت مبكراً للبدء بالغناء الآن.. لذلك كان من الأفضل له أن ينتظر بضعة ساعات قليلة.. وجال بفكره عندئذ أن ملابسه لا تتناسب مع مغنى طريق.. فملابسه فاخرة على ذلك.. ويتوجب عليه أن يغيرها إلى ملابس أكثر ملاءمةً لوضعه الجديد.. علاوة على أنه قد يحصل على بعض المال فيشترى به بعض الطعام..

وبعد بحث وتنقيب عثر على محل يشــترى ويبيع الملابس القديمة.. وأعجب صــاحب المحل بملابس (باســبارتو).. فخرج (باســبارتو) من عنده فى ملابس يابانية.. قديمة.. ولكنها مريحة للغاية.. علاوة على بعض النقود الفضــية التى أدخلت على نفسه البهجة والسرور.. وأول ما فعله (باسبارتو) بعد ذلك هو أن دخل مطعما صغيراً.. حيث استطاع تهدئة صُراخ جوعه.. وقال لنفسه:

- والآن.. لا تضييع للوقت.. لابد أن أقصر بقائى فى أرض الشمس هذه بقدر الإمكان..

كانت فكرته.. أن يذهب إلى أى مركب ذاهبة إلى أمريكا.. حيث يمكنه أن يعرض خدماته كطباخ أو خادم.. ولا يطلب إلا طعامه والرحلة.. وإذا اســتطاع الوصــول إلى ســان فرانســيســكو فســيوافق.. وأهم شيء هو أن يعبر مســافة الأربعة آلاف وسبعمائة ميل بحراً التى بين اليابان والعالم الجديد.. وهكذا اتجه إلى الميناء..

ولكن عندما اقترب من أرصفة الميناء.. بدأت خطته.. التى كانت تبدو بسيطة جداً عندما رسمها.. فى منتهى الصعوبة.. بل مستحيلة التنفيذ.. لماذا سيحتاجون إلى طباخ أو خادم على مركب أمريكية.. وماذا سيظن به أى قبطان أو ضابط بحرى وهو يرتدى هذه الملابس؟.. بالإضافة إلى أنه ليس لديه أية أوراق تثبت شخصيته ولا شهادات خبرة من الناس الذين خدمهم من قبل..

***

وبينما كان يقلب الأمور فى ذهنه.. وجد أمام إحدى قاعات التسلية هذه اللافتة الضخمة..

(فرقة وليم باتولكار للأكروبات اليابانية.. الأنوف الطويلة ! الأنوف الطويلة!.. تعال وشـــاهدهم.. قبل مغادرتهم إلى أمريكا فى عروضهم الأخيرة)

فصرخ (باسبارتو):
- إلى أمريكا.. هذا ما كنت أريده..

وذهب إلى داخل المبنى وسأل عن مستر باتولكار.. فظهر مستر باتولكار.. وسأله (باسبارتو) معتقداً أنه يابانى:

- ماذا تريد؟

فسأله (باسبارتو):

- هل تريد خادماً؟

فصرخ الرجل:

- خادم.. إننى لدى خادمين قويين مخلصين معى منذ زمنٍ طويل.. ويخدمانى لا لشيء إلا لطعامها.. وهاهما!

قال ذلك وهو يشير إلى ذراعيه بعضلاتهما القوية:

- ألا يمكننى أن أكون مفيداً لك فى أى شيء؟

- مطلقاً.

- واحسرتاه.. لقد كنت أتحرق شوقاً للذهاب معك إلى أمريكا..

فأجاب مستر باتولكار:

- أوه.. إنك لست يابانياً.. مثلى! لماذا ترتدى هكذا؟

- الإنسان يرتدى ما يقدر عليه!

- هذا صحيح.. هل أنت فرنسى؟

- أجل..

- إذن.. يمكنك أن تكون مضحكاً.. أليس كذلك؟

فأجاب (باسبارتو) الذى لم يعجبه هذا السؤال على الإطلاق:

- نحن الفرنسيون يمكننا الإضحاك بالتأكيد.. لكن الأمريكيون فاقونا فى ذلك!

- تمام.. تمام.. هل أنت قوى؟

- أجل ..

هل تستطيع الغناء؟

- أجل..

- هل تستطيع الغناء وأنت واقف رأساً على عقب..

فأجاب (باسبارتو).. مفكراً فى الحيل الأكروباتية التى كان يقوم بها وهو صغير:

- أوه.. أجل..

- حسن جداً.. إذن.. سآخذك..

وهكذا عثر (با سبارتو) على وظيفة ضمن فرقة الأكروبات اليابانية هذه لم تكن و سيلة ظريفة لكسب العيش.. ولكنه فى خلال أسبوع سيكون فى طريقه إلى سان فرانسيسكو..

***

وفى الساعة الثالثة من ذلك اليوم امتلأت القاعة بالناس الذين جاءوا لمشاهدة الممثلين ولاعبى الأكروبات وهم يقدمون ألاعيبهم المدهشة.. وكان كل لاعب قد رَكبَ أمام وجهه قطعة خشبية تعطى مظهر أنف طويل ضخم.. وكان من أحد التكوينات التى يقدمونها شكل هرم يكونوه بأجسامهم.. وبدلاً من أن يستلقوا على أكتاف بعضهم.. كما هو معتاد.. كان الفنانون يجمعون أنفسهم على قمة أنوفهم.. وكان من أهم المراكز.. مركز منتصب قاعدة الهرم.. لأن هذا الأنف بصفة خاصة يتحمل معظم وزن من فوقه.. ولكن الرجل الذى كان يؤدى هذا المركز دائماً قد ترك الفرقة فجأة.. لذلك تم اختيار (باسبارتو) ليأخذ مكانه..

وانتابه شعور حزين عندما ارتدى الملابس الجميلة ليقوم بهذا المشهد.. فأخذ يفكر فى نفسه عندما كان صغيراً.. ولكنه بعد أن ركب الأنف الطويلة فى وجهه.. بدأ يشعر بشيء من السعادة.. فهذا الأنف الطويل سيجعله يكسب ويحصل على طعام يقيم به أوده..

جاء (باسبارتو) مع الآخرين وتمددوا جميعهم على الأرض بأنوفهم الطويلة مرفوعة فى الهواء.. وجاءت مجموعة أخرى ووقفت على أنوف المجموعة الأولى واحتلت المجموعة الثالثة أماكنها على أنوف المجموعة السابقة.. ثم جاءت مجموعة رابعة.. إلى أن وصل الهرم إلى قمة القاعة.. وبدأت الموسيقى فى العزف..

كان الإعجاب عظيماً من جميع المشاهدين.. وبعدها بدأ الهرم يهتز فجأة.. وتحطم.. ثم سقط! وكانت غلطة (باسبارتو).. الذى ترك مركزه الهام.. وقفز بين المشاهدين وألقى بنفسه عند أقدام رجل هناك.. وصرخ قائلاً:

- آه! سيدى! سيدى!

- أنت؟

- أجل.. أنا!

- حسن.. فى هذه الحالة.. هيا بنا نذهب إلى السفينة..

وبسرعة خرج (مستر فوج).. و(عوده).. التى كانت فى صحبته.. و(باسبارتو).. حيث التقوا بمستر باتولكار الثائر الغاضب.. وأراد منهم أن يعوضوه على تحطيم الهرم.. فقام (فيلياس فوج) بتهدئته وإعطائه عدداً من الأوراق النقدية.. وفى الساعة السادسة والنصف.. عند إقلاع السفينة.. صعد مستر (فوج) و(عوده) إلى ظهر السفينة الأمريكية.. يتبعهما (باسبارتو) بأنف طوله ستة أقدام.. مازال مثبتاً فى وجهه!

ويمكن أن ندرك ما حدث فى شنغهاى.. قامت التانكادير بإرسال إشارات فلاحظتها سفينة يوكوهاما.. وعندما سمع القبطان فرقعة المدفع.. توجه إلى السفينة الصغيرة لتقديم المساعدة المطلوبة.. وفى خلال دقائق دفع (فيلياس فوج) لجون بونسبى النقود التى وعده بها وأعطاه بالإضافة لذلك خمسمائة وخمسين جنيهاً تقديراً منه لبسالته فى تنفيذ مهمته.. ثم تسلق مستر (فوج) و(عوده) و(فيكس) السفينة.. التى شقت عندئذ طريقها أولاً إلى نجازاكى ثم إلى يوكوهاما..

وعندما وصل (فيلياس فوج) فى صباح الرابع عشر من نوفمبر ذهب فى الحال إلى الكارناتيك وهناك فرحت (عوده).. وربما هو أيضاً عندما علما بأن (باسبارتو) قد وصل إلى يوكوهاما.. على ظهر هذه السفينة فى الليلة الماضية..

وبدأ فيلياس فوج.. الذى كان عليه أن يغادر إلى سـان فرانسـيسـكو ذلك المسـاء يبحث عن خادمه فى الحال.. فذهب.. ولكن دون جدوى.. إلى القنصـل الفرنسى ـ والإنجليزى.. وسـار فى شـوارع يوكوهاما.. وعندما فقد الأمل فى العثور على (باسبارتو).. دخل بالصدفة إلى قاعة باتولكار.. فرآه (باسبارتو) فوراً.. حتى وهو يقف رأساً على عقب.. فاضطرب ولم يستطع المحافظة على ثبات أنفه.. وكان نتيجة الحركة سقوط الهرم!

واستمع (باسبارتو) من (عوده) إلى قصة رحلتهم من هونج كونج إلى يوكوهاما هما ومستر (فيكس)..

وعندما سمع (باسبارتو) إسم (فيكس) لم يبد أى تعبير.. إذا فكر أن اللحظة المواتية لم تأت بعد ليخبر سيده بما جرى بينه وبين المفتش السرى.. ولذلك عندما قص ما حدث له.. قال : إنه قد أفرط فى الشرب فى إحدى حانات هونج كونج..

واستمع مستر (فوج) للقصة ببرود ولم يجب.. ثم أعطى مبلغاً من المال لخادمه ليشترى لنفسه ملابس جديدة.. واستطاع (باسـبارتو) أن يشـترى الملابس من على ظهر السـفينة.. وبعد سـاعة واحدة أصـبح مختلفا تماماً عن ممثل يوكوهاما صـاحب الأنف الطويل!

27 إلى سان فرانسيسكو

كانت السفينة التى تحملهم من يوكوهاما إلى سان فرانسيسكو إسمها جنرال جرانت.. وهى باخرة ضخمة متينة البناء.. عالية السرعة.. وكانت تسير اثنتى عشرة ميلاً فى الساعة لتعبر المحيط الهادى فى واحد وعشرين يوماً.. وكان لدى (فيلياس فوج) كل الأسباب التى تجعله يعتقد تماماً بوصوله لسان فرانسيسكو فى الثانى من ديسمبر.. ولنيويورك فى الحادى عشر.. ثم يصل لندن فى اليوم العشرين مبكراً ببضعة ساعات عن موعده فى اليوم الحادى والعشرين..

وكان على الباخرة عددٌ لا بأس به من البشر.. إنجليز وأمريكان وغيرهم.. ولم يحدث أثناء الرحلة أى شيء غير عادى.. كان البحر هادئاً.. وكان مستر (فوج) هادئاً أيضاً.. ولم يتكلم كالمعتاد إلا نادراً.. وأخذ احترام (عوده) يزداد لهذا الرجل الذى فعل الكثير من أجلها.. وفى الحقيقة.. دون أن تدرى تقريباً تحول إحساسها بالاحترام إلى نوع آخر من الأحاسيس..

وكانت علاوة على ذلك.. مهتمة جداً بخطة هذا الجنتلمان.. وكثيراً ما كان ينتابها القلق خشية أن يحدث ما يعوقها.. وغالباً ما كانت تبادل (باسبارتو) الحديث.. فبدأ يدرك حالة أحاسيسها تجاه (مستر فوج).. فأخذ يمدح سيده.. ويثنى على أمانته وكرمه.. وكان يطمئنها بنتيجة الرحلة.. قائلاً : إن الجزء الصعب منها قد تخطوه.. لقد تركوا بلاداً عجيبة مثل الصين واليابان.. والآن بعد أن يعبروا إلى أمريكا بالقطار ثم المحيط الأطلسى بالمركب سيكونوا قد أتموا رحلتهم حول العالم فى وقت مناسب..

***

وبعد تسعة أيام من مغادرته ليوكوهاما يكون (فيلياس فوج) قد قطع نصف المسافة حول العالم بالضبط.. حقيقى أن مستر (فوج) قد قضى اثنين وخمسين يوماً من الثمانين.. وأن أمامه ثمانية وعشرين يوماً فقط لإتمام رحلته.. لكن يجب أن نلاحظ برغم كل ذلك أن هذا الجنتلمان قد قطع نصف الرحلة بالتوقيت الشمسى.. إلا أنه قطع بالفعل أكثر من ثلثى المسافة إذا قيست بعدد الأميال المقطوعة.. من لندن إلى عدن.. ومن عدن إلى بومباى إلى كالكتا إلى سنغافورة إلى يوكوهاما.. إنها رحلة ملتوية متعرجة.. وإذا كنا نستطيع المسير حول الأرض كما تفعل الشمس فالمسافة من لندن إلى لندن ستكون ١٢ ألف ميل.. ولكن بالطريقة المتعرجة هذه التى سافر بها مستر (فوج) فالمسافة تبلغ ٢٦ ألف ميل.. قطع منها ١٧,٥٠٠ ميل.. ومع ذلك.. فالرحلة من الآن فصاعداً ستصبح فى خط مستقيم تقريباً.. ولم يعد (فيكس) موجوداً لإيقافه..

وحدث أيضاً فى هذا اليوم الثلاثين من نوفمبر أن توصل (باسبارتو) إلى اكتشاف جعله فى غمرة السعادة.. تذكر أن ساعته ظلت على توقيت لندن.. وبأنه رفض أن يقوم بتحريك عقاربها للأمام.. وكان يقول : إن جميع الساعات فى جميع البلاد التى مر بها خاطئة.. والآن فى هذا اليوم.. رغم أنه لم يقدم ولم يؤخر عقاربها.. كانت ساعته تشير إلى نفس الوقت الذى تشير إليه ساعة السفينة.. فود لو كان (فيكس) موجوداً معه ليقنعه بأن ساعته مضبوطة وتوقيتها مضبوط بعد كل هذا السفر والترحال..

- كان الأحمق السخيف يحدثنى عن الشمس والقمر وحركة الأرض.. إذا استمعنا لكل ما يقوله الناس.. لكان لدينا توقيت مضحك جداً.. لقد كنت متأكداً تماماً من أن الشمس ستتفق مع ساعتى فى يومٍ ما؟

ولكن هناك شيء ما لا يعلمه (باسبارتو).. وإذا كانت ساعته مقسمة ومرقمة من واحد إلى أربع وعشرين ساعة (كما هو الحال فى بعض الساعات).. لما كان سعيداً بذلك.. لأنها فى هذه الحالة.. بدلاً من أن تشير إلى الساعة التاسعة (كما فعلت).. لكانت أشارت إلى الساعة الحادية والعشرين..

ولكن إذا كان (فيكس) قد استطاع تفسير ذلك فإن (باسبارتو) لم يستطع فهم هذا التفسير أو حتى يقبله على أية حال.. إذا أظهر المخبر السرى نفسه فى هذه اللحظة.. فمن المحتمل أن يقول له (باسبارتو) شيئاً عن موضوع مختلف تماماً.

***

أين كان (فيكس) فى هذه اللحظة؟ كان (فيكس).. فى الحقيقة.. على السـفينة الجنرال جرانت.. فعندما وصـل إلى يوكوهاما.. ترك (مستر فوج).. الذى توقع أن يلتقى به ثانيةً فى وقت متأخر من نفس اليوم.. وذهب فى الحال إلى القنصلية البريطانية.. وهناك وجد التصريح.. لقد تبعه طول الطريق من بومباى.. وبتاريخ قديم مضى عليه أربعون يوماً.. لقد وصل من هونج كونج على الكارناتيك.. نفس السفينة التى كان هو على ظهرها.. قد نتخيل خيبة الأمل التى انتابت (فيكس).. لقد أصبح التصريح الآن عديم النفع.. إذ أصبح مستر (فوج) الآن خارج نطاق القانون الإنجليزى.. غضب غضبًا شديدًا ثم قال (فيكس) لنفسه:

- حسناً جداً! إن التصريح عديم النفع هنا.. ولكنه سيكون نافعاً فى إنجلترا.. يبدو الآن أن سارق البنك هذا سيعود إلى بلده بعد كل ذلك.. حسن جداً.. سأتعقبه إلى هناك.. أما بخصوص النقود التى سرقها.. نأمل أن يبقى بعضاً منها.. ولكن مع تكاليف الرحلة.. والهدايا التى يقدمها.. والفيل الذى اشـتراه.. وغير ذلك من الأمور.. فلن يتبقى مع رجل أكثر من خمسـة آلاف جنيه بعد العودة .. ومع ذلك فبنك إنجلترا بنك ثرى..

وعندما عقد العزم على ذلك.. ذهب فورا إلى السـفينة الجنرال جرانت.. لقد كانت هناك.. عندما جاء مسـتر (فوج) و(عوده) وصعدا على ظهر المركب.. ولدهشته الكبيرة رأى (باسبارتو) فى ملابسه العجيبة وأنفه الطويل.. وهكذا أخفى نفسه فى كابينته.. وكان عدد المسـافرين كبيراً لدرجة أنه توقع بألا يراه عدوه.. ولكن اليوم.. فى الجزء الأمامى من المركب.. قابله فجأة!

***

وبدون أن يتفوه بكلمة.. قفز (سـبارتو) على (فيكس).. فكانت فرحة عظيمة لبعض الأمريكيين الذين بدأوا فى الحال المراهنة على نتيجة النزال.. وانقض عليه.. وأخذ يلكمه مرات ومرات.. وبعد أن طرحه أرضـاً وانتهى منه.. شعر (باسـبارتو) بأنه أفضل وأهدأ كثيراً.. ونهض (فيكس) بعد برهة.. وهو ينظر إلى مهاجمه.. وقال ببرود:

- هل انتهيت؟

- أجل.. مؤقتاً فقط..

- إذن.. تعال لتتحدث معى..

- أتحدث معك! أنا.. ؟!

- أجل.. من أجل سيدك..

ويبدو أن طريقة (فيكس) الهادئة فى الحديث قد تغلبت على (باسبارتو).. فتبعه.. وجلس الإثنان معاً..

- لقد ضربتنى وطرحتنى أرضاً.. حسن جداً.. والآن أنصت إليّ لقد كنت إلى وقتنا الحالى عدواً لسيدك.. ولكن اعتباراً من الآن فأنا فى جانبه..

- أوه.. أخيراً.. إذن.. أنت تؤمن بأنه رجل شريف..

فأجاب (فيكس) ببرود:

- كلا.. لا أؤمن بذلك.. بل أومن بأنه لص.. كن هادئاً.. ودعنى أتكلم.. لقد حاولت.. عندما كان (فوج) تحت طائلة القانون البريطانى.. أن أعيقه وأعطله حتى يصلنى التصريح بالقبض عليه.. لقد فعلت كل ما فى وسعى لإيقافه.. لقد أرسلت رجال الدين من بومباى إلى كالكتا.. وجعلتك تشرب الخمر حتى فقدت وعيك فى هونج كونج.. فَرقّتَ بينه وبينك.. وفوت عليه المركب إلى يوكوهاما..

أنصت (باسبارتو).. وكان على استعداد للانقضاض على (فيكس) ثانيةً.. عندما استمر (فيكس) قائلاً:

- والآن.. يبدو أن مستر (فوج) سيعود لإنجلترا.. حسن جداً.. فسأتبعه.. ولكن من الآن فصاعداً.. سأساعده فى رحلته قدر ما حاولت إيقافها.. ويمكنك أن ترى أن خطتى قد تغيرت.. لقد تغيرت لأن ذلك هى مصلحتى.. وسأضيف بأن مصلحتك هى نفس مصلحتى.. لأنك ستعرف فى إنجلترا فقط إذا كنت تخدم رجلاً شريفاً أم سارق بنوك..

استمع (باسبارتو) إلى (فيكس) بانتباه وشعر بأن (فيكس) لن يقوم بأى خدعة أخرى.. وسأله (فيكس):

- هل نحن أصدقاء؟

فأجاب (باسبارتو):

- كلا.. لسنا أصدقاء.. ولكننا نستطيع أن نساعد بعضنا البعض.. ولكن إذا بدأت بأية خدعة.. فسأكسر رقبتك بكل تأكيد!

فقال المخبر السرى بكل هدوء:

- وهو كذلك!

28 سان فرانسيسكو

وبعد ذلك بأحد عشرـ يوماً وصـلت «جنرال جرانت» إلى سـان فرانسـيسـكو وكان مسـتر (فوج) فى موعده تماماً حسـب خطته.. لا يوم قبل الموعد.. ولا يوم بعده..

وعندما نزل مستر (فوج) إلى الشاطئ سأل عن موعد أول قطار إلى نيويورك.. فكان الجواب : فى الساعة السادسة مساء نفس اليوم..

وكان أمام مستر (فوج) نهارا كاملاً ليقضيه فى سان فرانسيسكو.. فاستقل إحدى العربات وانطلق هو ومن معه إلى فندق إنتر ناشيونال..

وبعد وجبة شهية ذهب مستر (فوج) مع (عوده) إلى القنصلية البريطانية.. ليحصل على توقيع القنصل على جواز سفره.. وعند خروجهما.. قال (باسبارتو):

- حيث إننا سوف نسافر عبر منطقة موحشة من البلاد.. وقد نُهاجمُ من قِبل الهنود الحمر.. أليس من الحكمة أن نبتاع مسدسات لنحمى أنفسنا بها؟

فأجاب مستر (فوج) بأن هذا ليس ضرورياً حسب اعتقاده.. ولكن إذا أراد (باسبارتو) فليشترى..

ولم يكد يمشى (فيلياس فوج) مائة خطوة حتى قابل (فيكس).. فأظهر المخبر السرى اندهاشاً عظيماً لهذا اللقاء.. وقال:

- يا لها من مفاجأة عجيبة أن نلتقى صدفةً هكذا! ونحن كنا على ظهر جنرال جرانت دون أن يلتقى أحدنا بالآخر..

وأبدى (فيكس) غاية السعادة.. قائلاً كم هو مسرور ليلتقى ثانية بالجنتلمان الذى يدين له بالكثير.. وأنه اضطر للعودة إلى أوروبا بسبب عمله.. وبأنه سيكون سعيداً لو سافروا سويا..

وأجاب مســتر (فوج) بأن هذا ســيكون شرفاً كبيرًا له.. وطلب (فيكس) الذى لا يرغب أن يفلت الرجل الذى يتعقبه من مراقبته أن يسمح له بمصاحبته فى زيارته للمدينة.

***

بعدها مشــت (عوده) و(فيلياس فوج) و(فيكس) يتجولون فى الشــوارع.. فرأوا جماهير ثائرة من الناس.. كان بعضــهم يصيح «عاش كامر فيلد! عاش!» وآخرون يصيحون.. «ماندبوى إلى الأبد»..

فقال (فيكس) لـ(مستر فوج):

- يبدو أن هذه هى الانتخابات.. ومن الأفضل أن نبتعد عن الزحام وإلا فقد نُصابُ بأذى..

كان (فيكس) قلقاً جداً على (مســتر فوج).. ويخشىــ أن يحدث له أى مكروه.. كان من مصــلحته حالياً أن يهتم بأمره ويحميه من أية مشكلة قد يتعرض لها.. حتى يستطيع أن يقبض عليه عندما يصلون جميعاً إلى إنجلترا..

فأجابه (مستر فوج):

- إنك على حق..

وذهب جميعهم بعيداً.. ووقفوا عند نهاية سلم حجرى حيث يمكنهم رؤية ما يجرى من تحتهم..

ما هذه الانتخابات؟ فلم يكن عند (فيلياس فوج) أي فكرة عنها.. وفى هذه اللحظة ثارت الجماهير وأصـــبحت فى قمة الهياج.. واندفع الناس هنا وهناك وهم يصـيحون بأعلى أصـواتهم.. وكان (فيكس) على وشـك أن يسـأل بعضـهم عن معنى هذا.. ولكن قبل أن يتمكن من ذلك وقعت مشاجرة عامة.. وطارت الحجارة وعبوات الزجاج الفارغة فى الهواء.. واستخدمت العصى.. وجاءت جمهرة من الناس وصعدوا السلم الذى يقف على قمته (مستر فوج) ورفاقه.. وأخذوا يصيحون ويهتفون.. فقال (فيكس):

- اعتقد أنه من الأفضل أن نبتعد..

وبدأ مستر (فوج) يقول:

- إنهم لا يستطيعون إيذاءنا.. إننا إنجليز..

ولكن قبل أن ينهى كلامه.. جاءت جماهير أخرى وصعدت إليهم من خلفهم.. أصبحوا مطوقين بينهما.. ولا مجال للهرب.. وبدأ (فيلياس فوج) و(فيكس) يحميان (عوده).. فأصيبا بلكمات وضربات من جميع الاتجاهات.. وبهدوئه المعتاد بدأ مستر (فوج) يتخذ وضعاً يساعده على الدفاع عن نفسه.. عندما فاجأه رجل ضخم الجثة.. ذو شعر أحمر ورفع يده وألقى بها فى وجهه بعنف.. وكان مستر (فوج) سيعانى منها تماماً لولا أن تلقاها (فيكس) بدلاً منه..

***

قال مستر (فوج) ناظراً بهدوء لمهاجمه..

- أحمق أمريكى!

فأجاب الآخر:

- أحمق إنجليزي!

- سوف نتقابل ثانية!

- وقتما تريد.. ما اسمك؟

- فيلياس فوج.. وأنت؟

- (دبلو بروكتور)

وفى هذه اللحظة تحركت الجماهير.. وكان (فيكس) قد سـقط على الأرض.. ولكنه نهض ثانية فى الحال.. وتمزقت ملابسه وأصيب إصابة طفيفة.. وعندما ابتعدوا عن الحشود.. قال مستر (فوج) للمخبر السرى:

- شكرًا لك..

فأجاب (فيكس):

- لا تشكرنى.. ولكن تعالى معى..

- إلى أين؟

- إلى محل لنشترى ملابس جديدة..

فى الحقيقة كان من الضرورى القيام بذلك.. لأنه نتيجة للمشاجرة تمزقت ملابسهما.. وبعد ساعة عاد إلى الفندق بقبعتين ومعطفين جُدد..

كان (باسبارتو) فى انتظار سيده.. لقد قام بشراء المسدسات.. وبدأ عليه القلق عندما رأى (فيكس) فى صحبة سيده.. ولكن عندما فسرت (عوده) له ما قد حدث.. اطمأن ثانيةً.. كان من الواضح أن (فيكس) يحافظ على وعده ولم يعد عدوا..

وبعد تناول الطعام أرســـل مســـتر (فوج) فى طلب عربة لتحمل المســـافرين وأمتعتهم إلى المحطة.. وقال مســـتر (فوج) لـ(فيكس):

- ألم تر ستأهب (دبلو بروكتور) ثانية؟

فأجاب (فيكس):

- كلا..

فقال فيلياس فوج:

- سوف أعود من إنجلترا.. لأبحث عنه ثانية.. فليس من اللائق أن يعامل إنجليزى مثلما عاملنى..

وفى الساعة السادسة إلا ربعًا وصل المسافرون إلى المحطة.. فوجدوا القطار على أهبة الاستعداد..

29 الليلة الأولى في القطار

كانت السكة الحديد التى يسافرون عليها من سان فرانسيسكو إلى نيويورك تبلغ طولها ٣٧٨٦ ميلاً.. ولما كانت الرحلة تستغرق سبعة أيام.. كان لمستر (فوج) كل الحق فى الاعتقاد بوصوله إلى نيويورك فى نفس موعد الباخرة المتجهة إلى ليفربول فى الحادى عشر من ديسمبر..

غادر المسافرون محطة أوكلاند فى تمام الساعة السادسة.. وكان الظلام قد حل.. والسماء مغطاة بالسحب السوداء.. لم يكن القطار يسير بسرعة كبيرة.. ربما بسرعة عشرين ميلاً فى الساعة.. هذا غير الوقوف فى المحطات..

لم يتكلم أحدٌ.. ووجد (باسبارتو) نفسه جالساً بجانب مفتش الشرطة.. ولكنه لم يتحدث معه.. كان يوجد جفاء ما بين الاثنين.. وكان ذلك طبيعياً.

وبعد ساعة بدأ الثلج يتساقط.. وعند الساعة الثامنة جاء موعد إعداد الأَسِرة للنوم.. وبعد دقائق قليلة تحولت مقصورتهم إلى حجرة نوم.. ولم يعد أمامهم إلا الذهاب إلى النوم.. وأثناء نومهم كان القطار يخترق كاليفورنيا تاركاً وراءه شريطاً من الدخان يخترق السماء.. وبعد ست ساعات وصل القطار إلى مدينة ساكرامنتو.. كانت الأرض من سان فرانسيسكو تكاد تكون مسطحة.. ولكن القطار الآن.. بدأ فى تسلق جبال نيفادا.. وعند الساعة السابعة مر القطار على سيسكو..

وبعد ذلك بساعة رُفَعَتْ الأسرة.. وتطلع المسافرون من النوافذ.. وتمكنوا من رؤية الأراضى الجبلية التى يمرون بها.. وكانت هناك جسور قليلة جداً.. ومن ثم كان على القطار أن يلف حول جوانب الجبل أو يسير فى قاع الوديان الضيقة..

***

وفى مدينة رينو توقف المسافرون لمدة عشرين دقيقة.. تناولوا خلالها طعام الإفطار.. ثم عادوا إلى أماكنهم مرة أخرى فى عربتهم.. وأخذوا يتطلعون إلى الأراضى التى يمرون عليها.. وفى بعض الأوقات كانوا يشاهدون أعداداً كبيرة من الجاموس.. وأحياناً كانت تضطر القطارات أن تتوقف عند عبور هذه الحيوانات بآلاتها عبر خط السكة الحديد.. وهذا ما حدث تماماً.. فحوالى الساعة الثانية عشرة وصل القطار إلى مكان تسير فيه قافلة من تلك الحيوانات فيها ما لا يقل عن حوالى عشرة أو اثنتى عشرة ألف رأس من تلك الحيوانات ببطء.. عابرةً خط السكة الحديد.. فكان من المستحيل تحريكهم.. وأصبح الشيء الوحيد الذى يمكن عمله هو الانتظار حتى يبتعدوا عن خط السكة الحديد..

أخذ المسافرون يراقبون هذا المنظر العجيب باندهاش واهتمام.. وظل (فيلياس فوج) فى مقعده ينتظر فى صبر.. أما (باسبارتو) فكان غاضباً بشكلٍ مزعج.. وكانت لديه رغبة عارمة فى أن يطلق النار عليهم من مسدسه.. وقال:

- يا لها من بلاد مزعجة! بلد يسعون فيها بحيوانات كهذه تعترض طريق القطارات! ترى هل توقع مستر (فوج) هذه الأنواع من المعوقات عندما خطط لرحلته.. حتى سائق القطار يخاف أن يخترقهم بقطاره..

وبالطبع كان سائق القطار حكيماً ولا يُقدم على فعلٍ مثل هذا .. خاصةً أن مثل هذا التصرف لن يكون ذا جدوى.. فقد يمكنه سحق الأعداد الأولى من الجاموس.. ولكن بعد ذلكَ ستتوقف ماكينة القطار وسيخرج عن القضبان بكل تأكيد..

ومرت ثلاث ساعات قبل أن تعبر آخر جحافل هذه الحيوانات خط السكة الحديد.. وحل الظلام قبل أن يستطيع القطار فى التحرك مرة أخرى..

***

وعند السابع من ديسمبر كانوا قد قطعوا مسافة كبيرة.. وفى هذا اليوم توقفوا لمدة ربع ساعة فى محطة جرين ريفر.. وكانت السماء قد أمطرت وأسقطت كثيراً من الثلوج أثناء الليل.. ولكن عندما ذابت نصف الثلوج لم تعد هناك أية مشكلة.. ومع ذلك أصاب الطقس السيء (باسبارتو) بالقلق.. فأخذ يقول لنفسه:

- يا لها من فكرة حمقاء للسفر خلال فصل الشتاء.. إذا كان سيدى قد انتظر قدوم طقس أفضل لكان لديه فرصة أفضل للفوز بالرهان..

ولكن بينما كان (باسبارتو) قلقاً بسبب حالة الطقس.. كانت (عوده) خائفة من أمرٍ آخر هو أكثر خطورة بكثير.. فعندما تطلعت من النافذة رأت بين مجموعة المسافرين (ستلب دبلو بروكتور) وهو الرجل الذى تصرف بخشونة بالغة فى مشاجرة الانتخابات فى سان فرانسيسكو.. وكان بمحض الصدفة راكباً فى نفس القطار.. وها هو يقف هناك.. ففكرت:

- يجب أن تمنعه من مقابلة (مستر فوج)!..

وعندما بدأ القطار يسير فى طريقه مرة أخرى.. كان مستر (فوج) نائماً.. أخبرت (عوده) كلاً من (فيسك) و(باسبارتو) بمن رأته.. فصرخ (فيكس):

- بروكتور فى نفس هذا القطار! حسن.. لا تخافى.. هذا من شأنى أنا أكثر منه شأن (مستر فوج).. وعلى كل فأنا من تلقى الضربة.. ولقد عانيت منها..

فأضاف (باسبارتو) قائلاً:

- أما أنا فسيكون لدى ما أقوله له.. أيضاً..

فقالت (عوده):

- مستر (فيكس).. إنك تعلم بأن مستر (فوج) لن يسمح لأحد ليحل محله فى هذا الأمر.. لقد أعلن قائلاً أنه قد يأتى ثانيةً إلى أمريكا لمقابلة هذا الرجل مرة أخرى.. فإذا رأى مستر بروكتور.. فلن نستطيع منعهما من القتال.. وهذا سيتسبب فيما لا يحمد عقباه.. يجب ألا يتقابلا..

فقال (فيكس):

- معك حق.. فالقتال سيفسد كل شيء.. وسواء انتصر أو انهزم فستكون فرص نجاح مستر (فوج) فى خطر..

وأضاف (باسبارتو) قائلاً:

- وهذا سيناسب السادة أعضاء نادى الإصلاح.. وستكون بعد أربعة أيام فى نيويورك! حسن.. إذا لم يغادر مستر (فوج) عربته خلال هذه الأيام الأربعة.. فقد لا يلتقى بهذا الرجل..

وفى هذه اللحظة استيقظ مستر (فوج) وانقطع الحديث.. وبعد ذلك.. قال (باسبارتو) للمخبر السرى بعيداً عن سيده وعوده:

- هل حقاً تقاتل بدلاً عنه؟

فقال (فيكس):

- سوف أفعل أى شيء لإعادته حياً إلى أوروبا..

30 لعبة الورق

والآن.. هل توجد طريقة لإبقاء مستر (فوج) فى العربة لمنعه من مقابلة بروكتور هذا.. لن يكون ذلك صعباً.. لأن مستر (فوج) لا يميل للتجول.. على أية حال.. فكر المفتش فى طريقة حسنة وبعد بضعة دقائق قال له:

- الوقت يمر ببطء شديد فى القطار..

- أجل.. ولكنه يمر على أية حال..

فقال (فيكس):

- فى المركب كنت تلعب الورق..

فأجاب فيلياس فوج:

- أجل.. ولكن هنا صعب.. فليس لدى ورق ولا أناس يلعبون..

- أوه.. بخصوص الورق.. يمكننا بسهولة شراءه فهو يباع فى كل القطارات الأمريكية.. أما بخصوص الناس الذين ستلعب معهم.. فربما السيدة تلعب..

فأجابت السيدة:

- أوه.. أجل.. أنا أعرف اللعب التى يحب أن يلعبها (مستر فوج)..

فقال (فيكس):

- وأنا كذلك.. فى الحقيقة ألعب هذه اللعبة بشكل جيد.. ويمكن لثلاثتنا اللعب..

فأجاب فيلياس فوج.. الذى فرح باللعب مرة أخرى:

- حسن جداً.. إذا كنتما تحبان ذلك..

وذهب (باسبارتو) لإحضار الورق.. وجاء على الفور بكل ما هو ضرورى للعبة.. اشترى طاولة مغطاة بمفرش.. وبدأوا اللعب.. ولعبت (عوده) بشكل جيد فعلاً.. وهذا ما أخبرها به (مستر فوج).. أما بالنسبة لـــ(فيكس) فكان لاعباً من الدرجة الأولى وفكر (باسبارتو):

- والآن.. كل شيء آمن.. فهو لن يتحرك من على طاولة اللعب!

31 الجسر غير مأمون

وفى الساعة الحادية عشر صباحًا وصل القطار إلى منطقة عبر جبال روكى وهى من أعلى المناطق التى يمر بها فى رحلته.. وبعدها بمائتى ميل سيصبحون أخيراً فوق الأرض المنبسطة العريضة شاسعة الأطراف التى تمتد بين الجبال وساحل المحيط الأطلسى.. وبعد بضعة ساعات سيمرون بالجزء الصعب والخطر من رحلتهم عبر الجبال..

وبعد وجبة غداء شهية بدأ المسافرون يلعبون ثانية.. ولم تمر إلا دقائق قليلة وبدأ القطار يتحرك ببطء شديد.. ثم توقف بعد ذلك تماماً..

أخرج (باسبارتو) رأسه من النافذة.. ولكنه لم ير شيئاً يبرر هذا التوقف.. بل ولا توجد محطة أيضاً..

وللحظة خشيت (عوده) وكذلك (فيكس) أن يطلب مستر (فوج) النزول من القطار.. ولكنه التفت فقط إلى (باسبارتو) وقال:

- اذهب واعرف لنا سبب التوقف..

قفز (باسبارتو) من القطار.. ونزل كذلك حوالى ثلاثين أو أربعين راكباً.. وكان من بينهم «دبلو بروكتور».. وكان القطار قد توقف أمام إشارة حمراء.. وكان سائق القطار وموظفيه قد نزلوا ووقفوا حول الرجل الذى أرسل لإيقاف القطار.. كانوا يتحدثون بشكل جدى حول موضوع ما.. ثم جاء بعض المسافرين واشتركوا فى الحديث.. وكان من بينهم مستر (دبلو بروكتور) الذى أخذ يتكلم بصوته الخشن الأجش.. فسمعه (باسبارتو) يقول:

- كلا.. لا يمكنك أن تمر! فالجسر القائم عند «مدسين بو» يحتاج لإصلاح.. وبالتأكيد لن يتحمل وزن القطار..

كان الجسر الذى يتحدثون عنه هو أحد الجسور المعلقة بين شاطئين على ارتفاع نهر عميق يقع على بعد نحو ميل.. وما قاله الرجل كان حقيقياً.. فالجسر كان غير آمن!

ولم يجرؤ (باسبارتو) أن يذهب ويخبر سيده.. وظل خارج القطار يستمع لحديث الرجال.. قال مستر بروكتور:

- حسن.. إننا لن نبقى هنا للأبد وسط هذه الثلوج!

فأجاب موظف السكة الحديد:

- سيدى.. لقد أرسلنا برقية إلى «أوماها» وطلبنا منهم إرسال قطار يقابلنا عند «مدسين بو» ولكن ذلك سيستغرق ما لا يقل عن ست ساعات»..

فصرخ (باسبارتو):

- ست ساعات؟!

فأجاب الموظف:

- أجل.. على أية حالة سوف نستغرق هذا الوقت فى المشى إلى المحطة..

فصرخ جميع المسافرين:

- المشى؟!

وسأل أحدهم:

- ولكن كم تبعد هذه المحطة إذن؟

- اثنى عشر ميلاً من الجانب الآخر للنهر..

فصرخ ستاعب (دبلو بروكتور):

- نمشى اثنى عشر ميلاً فى الثلج!

ثم انفجر بلهجة عنيفة.. يسب بها شركة السكة الحديد وموظفيها بأفظع السباب.. و شعر (با سبارتو) الذى كان غاضباً مثله بالرغبة فى الانضمام إليه.. ولكن لا جدوى من الانفعال ولا من القتال.. حتى أوراق سيده النقدية لن تفيد فى التغلب على هذه الصعوبة..

32 منتهى السرعة

_كانت خيبة أمل المسافرين عظيمة.. فهم لن يتأخروا فقط.. بل سيسيرون أيضاً نحو اثنتي عشرة ميلاً فى الثلج.. وكانت ضجة شكواهم ستصل إلى (فيلياس فوج) بالتأكيد لولا أن الجنتلمان كان مستغرقاً فى اللعب..

ولم يجد (باسبارتو) بداً من أن يذهب ويخبر سيده بما حدث .. واستدار متوجهاً للعربة.. عندما رفع المهندس صوته.. وهو أمريكى فج.. ويدعى فوستر وقال:

- أيها السادة توجد طريقة للعبور..

فسأله أحدهم:

- عبور الجسر؟

- أجل عبور الجسر..

فسأل بروكتور:

- بقطارنا؟

- بقطارنا..

وقف (باسبارتو).. وأخذ يستمع لما يقال..

- ولكن الجسر غير مأمون..

فقال المهندس:

- هذا لا يهم.. إننى أعتقد لو سار القطار بمنتهى السرعة فستكون هناك فرصة طيبة فى النجاح فى العبور..

ففكر (باسبارتو):

- حسن.. يا لها من فكرة مجنونة!

ولكن عدد كبير من المسافرين أعجبوا بالفكرة جداً.. خصوصاً (دبلو بروكتور) الذى صرخ قائلاً:

- فكرة معقولة جداً وطبيعية جداً!

ثم أردف قائلاً:

- لماذا؟.. فهناك مهندسون يحاولون اختراع قطارات تسير بمنتهى السرعة لعبور الأنهار بدون أى جسور على الإطلاق[٧]!

وفى النهاية وافق المسافرون جميعهم على الفكرة وقال أحدهم:

- لدينا خمسين فرصة للعبور..

وقال آخر:

- ستون..

---

(٧) هنا يمكننا أن نعلق على ما جاء في رواية جول فيرن بأن تلك هي إحدى نبوءاته العلمية التى كان يُكثرُ منها في أعماله الأدبية.

- ثمانون.. تسعون فرصة من مائة!

وأصبح (باسبارتو) فى غاية الاندهاش ولم يستطع الكلام.. بل ولا حتى التفكير.. كان مستعداً لأية خطة لعبور النهر.. لكن هذه الخطة كانت تبدو له أمريكية جداً.. ففكر:

- بجانب ذلك.. توجد طريقة أبسط بكثير.. ولم يفكر فيها هؤلاء الناس..

وقال لأحد المسافرين:

- سيدى.. الخطة تبدو لى خطيرة بعض الشيء.. ولكن..

فقال المسافر:

- ثمانون فرصة من مائة!

واستدار معطيًا له ظهره.

فقال (باسبارتو) ملتفتاً إلى شخص آخر:

- أعرف.. لكنى كنت أفكر..

فأجاب الرجل:

- لا يمكننا أن نقول شيئًا أكثر من ذلك.. المهندس يقول يمكننا العبور.. وهذه هى نهاية الموضوع..

فقال (باسبارتو):

- أجل.. أنا متأكد من أنه يمكننا العبور.. ولكن ليس بكل هذا القدر من الخطورة..

فصاح بروكتور:

- ما هذا؟ خطورة؟ ألا تفهم؟ بمنتهى السرعة!

فقال (باسبارتو).. ولا أحد يسمح له بإنهاء ما يريد قوله:

- أجل.. أعرف: أفهم.. ولكن ألا تعتقد بأنها ستكون طبيعية أكثر لو..

فصاح الجميع:

- ماذا؟ ما هذا؟ ما الذى يتكلم عنه؟

وسأل بروكتور:

- هل أنت خائف؟

فصرخ (باسبارتو):

- خائف؟ أنا.. خائف؟ سوف أرى هؤلاء الأمريكيين إذا كان الفرنسى يخاف أم لا يخاف!

وصاح موظف السكة حديد قائلاً:

- الزموا مقاعدكم! الزموا مقاعدكم!

فصاح (باسبارتو) إليه:

- حاضر! حاضر! ولكنى مازلت أعتقد بأنه من الأفضل لنا أن نسير فوق الجسر أولاً.. ثم ندع القطار يتبعنا فارغاً!

ولكن لم يستمع أحد لهذه النصيحة الحكيمة.. وعلى أية حال لن يوافق أحد على هذه الفكرة..

وعاد المسـافرون جميعهم إلى مقاعدهم.. كما عاد (باسـبارتو) إلى مقعده.. دون أن يقول أى شيء مما قد حدث.. وكان لاعبو الورق يجلسون كما هم يفكرون فقط فى لعبهم..

ورجع السـائق بالقطار ما يقرب من ميل.. بنفس الطريقة التى يسـتخدمها القافز عندما يخطو للخلف يضـع خطوات ليؤدى قفزته.. ثم جعله يسير للأمام ويزيد السرعة أكثر فأكثر.. إلى أن أصبح القطار يجرى فى سرعة رهيبة.. قد تتجاوز مائة ميل فى الساعة.. وطار فوق الجسر.. حتى أن الركاب لم يروا الجسر.. وقفز القطار ببساطة من جانب النهر إلى الجانب الآخر.. ولم يستطع السائق أن يوقفه إلا بعد خمسة أميال على الجانب الآخر من المحطة..

ولكن بمجرد أن عبر القطار الجسر.. تهشم الجسر إلى قطع.. وسقط فى الماء محدثاً صوت ارتطام بعيد!

33 (فوج) وبروكتور يلتقيان

وفى ذلك المساء وصل القطار أعلى نقطة فى خلال رحلته.. وهى ٨٠٩١ قدمًا فوق سطح البحر.. وعليه من الآن أن يهبط حتى يصل إلى ساحل الأطلسى.. وقطع المسافرون حتى الآن ١٣٨٢ ميلاً من سان فرانسيسكو فى ثلاثة أيام وثلاث ليال.. ويجب أن يكونوا فى نيويورك بعد أربعة أيام وأربع ليال..

وعاد المسافرون فى اليوم التالى إلى لعب الورق كالمعتاد.. ولم يشتكِ أحدٌ منهم من طول الرحلة.. وكان (فيكس) قد كسب بعض الجنيهات.. وبدأ الآن فى خسارتها مرة أخرى.. والآن يمسك مستر (فوج) فى يده ورقاً رابحاً.. وكان على وشك أن يلعب بورقة سوداء معينة.. عندما سمع صوتاً آتياً من خلفه يقول:

- لا تلعب هذه.. العب الورقة الحمراء بدلاً منها..

تطلع (مستر فوج).. و(عوده).. و(فيكس).. وكان (دبلو بروكتور) يقف خلفهم.. ثم صرخ عندئذ قائلاً:

- أوه.. إنك أنت المستر الإنجليزى! إنك من يريد أن يلعب الورقة السوداء..

فأجاب (فيلياس فوج) وهو يفعل ذلك:

- أجل.. وسألعبها!

فانحنى الرجل للأمام ليمسك بها.. وأضاف قائلاً:

- حسن.. أريد أن تلعب الأخرى.. إنك لا تعرف كيف تلعب هذه اللعبة..

فقال (فيلياس فوج).. ناهضاً من مقعده:

- ربما.. هناك لعبة أخرى أعرفها أفضل من ذلك..

فقال (بروكتور) وعلى وجه ابتسامة قبيحة:

- حسن.. يمكنك أن تحاول..

وبدت (عوده) مذعورة جداً.. وأمسكت بذراع (مستر فوج).. ولكنه دفعها بلطف بعيداً عنه.. وكان (باسبارتو) على استعداد بأن يلقى بنفسه على الأمريكى.. ولكن (فيكس) نهض وتوجه إلى بروكتور وقال:

- العراك بينك وبينى.. إنك لم تكن قليل الاحترام نحوى.. بل ضربتنى أيضاً..

فقال (مستر فوج):

- مستر (فيكس).. أرجو المعذرة.. ولكن هذا شأنى وحدى.. وسيحصد هذا الرجل مسئولية تصرفه..

فأجاب الأمريكى:

- متى وأين تحب؟

حاولت (عوده) الإمساك بـ(مستر فوج).. ولكنها لم تنجح.. حاول المخبر أن يحول المعركة عليه.. وأراد (باسبارتو) أن يلقى بالأمريكى من النافذة.. ولكن إشارة من سيده أوقفته.. وخرج (فوج) من العربة يتبعه الأمريكى..

34 ترتيبات القتال

قال مستر (فوج) لعدوه:

- سيدى.. بعد لقائنا فى سان فرانسيسكو عقدت العزم على أن أعود ثانيةً إلى أمريكا لأبحث عنك حالمًا أنتهى من العمل الذى يحتم علىَّ الرجوع إلى إنجلترا..

- حقاً!

- هل تقابلنى بعد ستة شهور؟

- ولم لا تقول بعد ست سنوات؟

فأجاب (مستر فوج):

- لقد قلت ستة شهور..

فصرخ (دبلو بروكتور):

- تريد أن تهرب منى.. المعركة أمامك الآن.. وإلا فلا..

فأجاب (مستر فوج):

- حسن جداً.. هل أنت ذاهب إلى نيويورك؟

- كلا..

- شيكاغو؟

- كلا..

- أوماها؟

- هذا ليس من اختصاصك.. هل تعرف «بلام كريك»؟

فأجاب (مستر فوج):

- كلا..

- إنها المحطة القادمة.. سيصلها القطار بعد ساعة.. وينتظر هناك عشر دقائق.. وهذا يعطينا وقتاً كافياً للقتال..

فقال (مستر فوج):

- موافق.. سأقف عند «بلام كريك»..

فقال الأمريكى بضحكة بشعة:

- وأعتقد أنك أيضاً ستبقى هناك!

فأجاب (مستر فوج).. الذى عاد إلى مقعده:

- من يدرى.. يا سيدى؟

ثم هدأ من قلق (عوده).. وقال لها:

- لا خوف ممن يتفاخرون ويجعجعون ..!

ثم انتحى بـــ (فيكس) جانباً وطلب منه أن يقوم بدور المساند.. لم يستطع (فيكس) أن يرفض.. والتقط (فيلياس فوج) ورقة وعاد إلى اللعب..

وفى الســاعة الحادية عشرــة وصــل القطار إلى محطة «بلام كريك».. فنهض مســتر (فوج) وتبعه (فيكس).. وخرجا من العربة.. وذهب (باسبارتو) معهما.. وهو يحمل زوجاً من المسدسات..

وفى هذه اللحظة انفتح الباب وخرج مسـتر بروكتور أيضـاً.. يتبعه صـديق له.. ولكن عندما بدأ العدوان في النزول.. ركض نحوهما المسئول عن القطار قائلاً:

- أيها السادة.. غير مسموح بالنزول لأحد..

فسأل بروكتور:

- ولم لا؟

- إننا متأخرون عشرين دقيقة.. والقطار لا يقف..

- ولكن لابد أن أقاتل هذا السيد..

فقال الموظف:

- آسف.. ولكننا سنتحرك فى الحال.. وها هو الجرس يدق..

يتحرك القطار ثانية بالفعل.. فقال الموظف:

- أنا أســف جداً.. يا ســادة.. كنت أود أن أســاعدكما.. ولكنى.. على كلٍ.. طالما ليس لديكما وقت للقتال هنا.. فلم لا تتقاتلان فى القطار نفسه؟

فقال بركتور بصوت غير محبب:

- ربما ذلك لن يناسب الجنتلمان..

فأجاب فيلياس فوج:

- إنه يناسبنى تماماً..

وفكر (باسبارتو) وهو يتبع سيده:

- إننا بكل تأكيد فى أمريكا! والمسئول عن القطار جنتلمان متكامل!

ومر الرجلان وصـديقهما ومسـئول القطار من عربة إلى أخرى حتى وصـل إلى نهاية القطار.. كان يوجد فى العربة الأخيرة حوالى عشرة ركاب فقط.. وطلب المسئول منهم أن يتكرموا ويتنازلوا عن العربة لبضع دقائق للسادة الراغبين فى القتال..

ولم لا.. طبعاً! كان الركاب فى منتهى الســعادة لتقديم أية خدمة للصــديقين المتقاتلين.. وخرجوا فى الحال ووقفوا فى الممرات..

كان طول العربة خمسين قدماً.. لذا فهى مناسبة جداً لما سيتم.. ويستطيع كل من الرجلين أن يسير فى اتجاه الآخر بين المقاعد ويصوب كل منهما على الآخر بكل راحتهما.. كان من السهل ترتيب القتال.. وحمل كلٌ من مستر (فوج) ومستر (بروكتور) مسدسيهما.. ودخلا العربة.. كل مسدس به ستة طلقات.. وعلى المساعدين أن يغلقا الباب ويبقيا فى الخارج.. وتعطى الإشارة ويبدأ التصويب.. وبعد دقيقتين يفتح الباب.. ومن يبقى من السيدين يحمل إلى الخارج.. ولا شيء أبسط من ذلك..

35 هجوم الهنود الحمر

ولكن قبل إعطاء الإشـارة.. وصـل إلى سـمعهم صراخ وطلقات نارية.. لم تأت الطلقات النارية بالتأكيد من العربة التى أُغْلِقَتْ على السيدين.. بانج! بانج.. بانج! لقد جاءت من الخارج على طول القطار.. ثم و صل إلى سمعهم صرخات رعب من أولِ القطار إلى آخره..

قفز مسـتر (بروكتور) ومسـتر (فوج) من عربتهما والمسـدسـات فى أيديهما واندفعا إلى الأمام.. حيث أخذت الصرخات والطلقات تتزايد كل لحظة.. لقد رأوا أن القطار قد هجم عليه هنود من السيوكس.

لم تكن هذه أول مرة يهجم فيها الهنود الحمر على قطار.. فلقد نجحوا أكثر من مرة من قبل.. وطبقاً لعاداتهم المألوفة.. فلقد قفز مئات منهم على سلالم القطار المتحرك وتسلقوا إلى سطح العربات..

وكانوا جميعهم يحملون بنادق كثيرة جاءت منها الطلقات التى سمعت.. وأجاب المسافرون بمسدساتهم.. وتمكن الهنود من القفز على الماكينة وطرحوا السائق ومساعده أرضاً.. وحاول أحد الهنود إيقاف القطار.. ولكنه لم يعرف كيف يفعل ذلك وفتح البخار بدلاً من غلقه.. وكانت النتيجة أن طار القطار بأقصى سرعة!

وفى نفس الوقت شق الهنود الحمر طريقهم فى العربات وبدأوا يقاتلون المسـافرين.. واسـتمرت الصرخات والطلقات بلا توقف.. ومع ذلك دافع المسافرون عن أنفسهم بشجاعة.. وكانت (عوده) من بينهم.. فقد أخذت تطلق الرصاص من مسدس فى يدها عبر النوافذ المكسـورة على أى هندى يقع عليه بصرها.. وسـقط عشرون أو أكثر من الهنود مجروحين أو ميتين على خط السـكة الحديد.. وكانت العجلات تسحق كل من يسـقط بين العربات.. وأصيب عديد من المسـافرين بإصابات بالغة وتقافزوا على المقاعد..

استغرق القتال على هذا النحو عشر دقائق.. ويجب بالنسبة لـــ(هنود السبوكس) فعليهم أن يحصلوا على أفضل المغانم إذا لم يتوقف القطار.. وكانت محطة فورت كيرنى على بعد ميلين فقط.. والجنود موجودون فى هذه المحطة.. ولكن إذا ســار تخطاها القطار دون توقف فسيصبح هنود السيوكس هم المتحكمون فى القطار بالتأكيد..

كان المسئول عن القطار يقاتل بجانب (مستر فوج).. عندما أصيب بطلق نارى وسقط..

فصرخ قائلاً:

- إذا لم يتوقف القطار فى خلال خمس دقائق سنضيع جميعنا..

فقال فيلياس فوج:

- سيقف القطار..

واندفع ليخرج من العربة.. فصرخ (باسبارتو) قائلاً له:

- إبق كما أنت يا سيدى.. هذا من اختصاصى أنا..

ولم يتمكن (فيلياس فوج) من إيقاف الشـاب الجسـور الذى فتح أحد الأبواب.. دون أن يراه الهنود.. وتمكن من التسـلق فوق إحدى العربات.. وبينما كان القتال يدور على أ شده.. والطلقات تطير فى الهواء من فوق رأ سه.. زحف (با سبارتو) فوق العربة وشق طريقه للأمام أعلى العربات.. يقفزُ هنا ويعلق هناك.. قافزاً من مكانٍ إلى آخر حتى وصل إلى الجزء الأمامى من القطار.. وهناك تعلق بيد واحدة.. وتمكن من فك الوثاق الحديدى الذى يربط العربة بالقاطرة.. لم يكن يســتطيع القيام بذلك لو لم تساعده صدمة مفاجئة.. وانفصلت الآن عربات القطار عن القاطرة وبدأت سرعتها تنخفض بالتدريج بينما طارت القاطرة بسرعة أعلى..

وسار القطار لبضع دقائق ولكنه توقف على بعد ثلاثمائة قدم فقط من المحطة.. فركض الجنود تجاه القطار عند سماعهم للطلقات النارية.. ولم ينتظر الهنود قدومهم.. بل فروا هاربين قبل أن يتوقف القطار..

ولكن عندما بدأت عملية حصر المسافرين بالنداء على أسمائهم.. تبين أن العديد منهم لم يجيبوا على النداء.. وكان من بين المفقودين الشاب الفرنسى الذى أنقذ بجسارته القطار .. !

36 اختطاف (باسبارتو)

تم حصر ثلاثة ركاب مفقودين.. هل قتلوا فى المعركة؟ هل أسرهم الهنود؟ لا أحد يعلم.. كثير من المسافرين أصيبوا ولكنها إصابات طفيفة.. وكان أحد المصابين مستر(بروكتور) الذى قاتل ببسالة.. فأنزلوه مع المصابين الآخرين إلى المحطة لعلاجهم.

ولم تصب (عوده) بسوء ولا (فيلياس فوج) رغم أنه حارب طوال الوقت.. وأصيب (فيكس) إصابة خفيفة فى الذراع.. أما (باسبارتو) فلم يعثروا عليه.. وانهمرت الدموع من السيدة الشابة التى تدين بحياتها له.. والآن للمرة الثانية..

ووقف مستر (فوج) فى المحطة دون أن يتكلم.. كان عليه أن يتخذ قراراً خطيراً.. إذا كان خادمه قد تم أسره.. فمن واجبه أن يحاول إنقاذه.. فقال لعوده ببساطة:

- سوف أجده حياً أو ميتاً..

فصرخت (عوده).. آخذة يديه بين يديه وهى تبكى:

- أوه.. (مستر فوج)..

وأضاف (مستر فوج):

- سوف أجده حياً إذا لم نضيع الوقت..

وبهذا القرار سيخسر (فيلياس فوج) كل شيء.. لأنه إذا تأخر يوماً واحداً فستضيع عليه فرصة اللحاق بالمركب من نيويورك.. ويكون قد خسر رهانه.. ولكنه عقد العزم على أن هذا من واجبه..

كان القائد ومعه مائة جندى بذخيرتهم موجودين لحماية المحطة من أى هجوم من قبل الهنود..

فقال مستر (فوج) للقائد:

- سيدى.. لقد اختفى ثلاثة رجال..

فسأل القائد: قتلوا؟

فأجاب (مستر فوج):

- ربما قُتلوا.. وربما أُسِروا.. وهذا ما يجب أن نكتشفه.. هل تنوى تعقب هؤلاء الجنود والإمساك بهم؟

فأجاب القائد:

- هذا عمل خطير يا سيدى.. إن هؤلاء الهنود قد يذهبون مائتين أو ثلاثمائة ميل بعيداً عن هنا.. ولا أستطيع أن أغادر هذه المحطة لأنها فى حمايتى..

فقال فيلياس فوج:

- سيدى.. أنه موضوع حياة ثلاث رجال..

- هذا حقيقى.. ولكن هل أضيع حياة مائة رجل فى خطر لأنقذ ثلاثة؟

- أنا لا أدرى.. ولكن هذا ما يجب أن تفعله..

فأجاب القائد:

- سيدى.. أنا لن أسمح لأحد هنا أن يعلمنى واجبى.

فقال (فيلياس فوج) ببرود:

- حسن جداً.. إذن.. سأذهب بمفردى هل تعتقد بأننى سأترك هذا الرجل الشجاع يموت.. وهو الذى أنقذ حياة كل واحد هنا؟ سأذهب..

فصرخ القائد:

- حســن يا ســيدى.. لن تذهب بمفردك.. كلا.. أنك ذو قلب شــجاع.. والآن من يتطوع للإلتحاق بهذا الجنتلمان؟ نحن فى حاجة إلى ثلاثين رجلاً!

والتفت إلى جنوده.. فوجد السرية جمعاء تتقدم خطوة للأمام بحزمٍ عسكرى..

فكان على القائد أن يختار منهم.. فقام باستدعاء ثلاثين جندياً.. وعين ضابطاً على رأسهم..

فقال (مستر فوج):

- شكرا أيها القائد!

وسأل (فيكس):

ستسمح لى بالقدوم معك؟

فأجاب فوج:

- يمكنك أن تفعل ما تشاء.. ولكن إذا رغبت فى أن تؤدى لى خدمة حقيقية فلتبق بجانب هذه السيدة.. وترعاها..

تحوَل وجه المفتش إلى اللون الأبيض.. ماذا! هل يفترق عن الرجل الذى تتبعه بهذا الصبر؟ ويدعه ينطلق بدونه فى أرض غير آمنة؟ وتطلع (فيكس) إلى مستر (فوج) لبرهة ثم أشاح ببصره عن وجه (فوج) الهادئ الجاد.. وقل رغم أحاسيسه:

- سأبقى!

37 حملة الإنقاذ

وبعد دقائق معدودة أعطى مستر (فوج) حقيبته للسيدة.. وأوصاها عليها.. وصافحها وانطلق مع الضابط وفرقته من الرجال.. وقبل أن يغادر المحطة قال للجنود:

- مكافأة ألف جنيه إذا نجحنا فى إنقاذ الأسرى..

كان الوقت بعد منتصف النهار بدقائق قليلة.. وذهبت (عوده) إلى حجرة الانتظار بالمحطة.. وجلست بمفردها تفكر فى (فيلياس فوج) هذا الرجل الكريم الشجاع.. لقد تنازل عن كل شيء.. والآن يضع حياته فى خطر.. لقد أصبح فى نظرها رجلاً عظيماً جديراً بكل خير..

لم يكن المفتش يفكر بهذه الطريقة.. ولم يستطع أن يخفى شعوره.. وأخذ يذرع المحطة من الخارج ذهاباً وإياباً.. ومؤنباً على حماقته فى أن يدعه يغيب عن نظره.. وفكر:

- لقد كنت غبياً.. لقد عرف (فوج) من أكون! ولقد ذهب.. ولن يعود.. أين سأجده ثانيةً؟ كيف أسمح له بالذهاب.. وأنا فى جيبى الأمر بالقض عليه؟

ظل (فيكس) يفكر على هذا النحو بينما تمر الساعات ببطء.. ولم يدر ما الذى يفعله.. وجاءه هاتف أن يخبر (عوده) بكل شيء.. وهاتف آخر أن ينطلق فوق الثلج للإمساك بـ(مستر فوج).. فليس من المستحيل أن يعثر عليه مرة أخرى.. ويمكنه أن يقتفى آثار أقدام الجنود على الثلج.. ولكن بعد قليل سيغطى الثلاج المتساقط هذه الآثار..

ثم راود خياله أن يترك كل شيء كما هو عليه ويعود مباشرة إلى إنجلترا.. وإذا قرر أن يفعل ذلك.. فلا يوجد شيء يمنعه.. وأثناء هطول الثلج بكثافة.. وبينما كانت الساعة حوالى الثانية.. سمعوا صوت قطار قادم من الشرق.. لم يكن من المعقول أن تكون النجدة التى طلبوها قد وصلت بهذه السرعة.. والقطار من أوماها إلى سان فرانسيسكو لن يصل قبل اليوم التالى.. ولكنهم عرفوا فورا سر هذا القطار القادم..

إنها كانت قاطرة قطارهم.. لقد انطلقت مندفعة لمدة أميال.. ثم خمدت النار لاحتياجها للفحم.. ولم يعد يوجد بخار لتسيير الماكينة.. وبعد ساعة أخذت سرعة القطار تزداد ببطء إلى أن توقفت تماماً على بعد عشرين ميلاً من الجهة الأخرى من محطة كيرنى..

ولم يكن السائق ولا مساعده قد قُتِلا.. وبعد مرور فترة من الزمن عادا إلى وعيهما.. وعندما وجدا أنهما وحدهما.. والقطار غير موجود خلف القاطرة.. خمنا ما قد حدث.. ولكنهما لم يعرفا كيف انفصلت القاطرة عن القطار..

كان يمكنهما الاستمرار ليصلا أوماها.. وكان هذا أفضل شيء يفعلانه.. ويمكنهما الرجوع تجاه القطار.. وهذا فى منتهى الخطورة.. فربما لازال الهنود فى القطار.. واتخذ السائق قراره فيما يجب أن يفعله.. يجب العودة .. فوضعا الفحم والحطب فى النار وسخن الماء فى الحال..

ولم تمر فترة طويلة حتى أصبح هناك بخار كاف لتحريك الماكينة.. وفى الساعة الثانية وصلت القاطرة إلى محطة كيرنى..

وعندما رأى المسافرون القطار مرة أرى فى مقدمة القطار غمرتهم السعادة.. يمكنهم الآن أن يعاودوا رحلتهم مرة أخرى..

وعندما عادت القاطرة إلى المحطة.. غادرت (عوده) المحطة وتوجهت إلى المسئول عن القطار.. وسألته:

- هل ستغادر؟

- فوراً..

- ولكن الأسرى من زملائنا التعساء؟.. هل سنتركهم؟!

- آسف.. لا يمكننا أن ننتظرهم.. إننا متأخرون ثلاث ساعات..

- ومتى يأتى القطار التالى من سان فرانسيسكو؟

- غداً مساء..

- غداً مساء؟ ولكن سيكون هذا وقتاً متأخرًا جداً.. يجب أن تنتظر هنا حتى يعودوا..!

فأجاب المسؤول:

- هذا مستحيل.. إذا أردت أن تأتى معنا.. يجب أن تصعدى إلى القطار فى الحال..

***

استمع (فيكس) لهذا الحديث.. وكان منذ قليل يريد الذهاب عندما لم يكن هناك وسيلة للمغادرة.. والآن.. والقطار موجود.. وما عليه إلا أن يحتل مكانه فى العربة.. لم يعد يريد الذهاب.. وعاد الصراع فى داخله مرة أخرى من جديد.. لقد هزمه الإحساس بالفشل..

وأثناء ذلك.. اتخذ المسافرون أماكنهم فى القطار.. ومن بينهم مستر (بروكتور) المصاب إصابة خطيرة.. وارتفع صوت البخار.. ثم رن الجرس.. وبدأ القطار يتحرك من المحطة إلى أن اختفى فى الثلوج.. وبقى المفتش..

ومرت الساعات وكان الطقس سيئاً مع برودة شديدة.. وكان (فيكس) جالساً على مقعد بالمحطة مستغرقاً فى النوم.. أما (عوده) فكانت.. رغم العاصفة الثلجية.. تخرج من الحجرة وتسير إلى نهاية مبانى المحطة.. لتستكشف الأمر.. ولكنها لم تر ولم تسمع شيئاً..

وجاء المساء.. ولم تعد سرية الجنود الصغيرة.. أين هم؟ هل استطاعوا اللحاق بالهنود؟ هل وقعت معركة؟ كان القائد قلقاً جداً.. ولكنه حاول ألا يظهر قلقه..

وجثم الليل بظلامه الحالك.. ولم تعد الثلوج تهبط بغزارة.. ولكن البرودة أصبحت فى ازدياد مستمرة.. ولم يعد هناك صوت يسمع.. وخلال الليل كله كانت (عوده) بقلبها المثقل وبخوفها المتزايد تهيم خارج المبنى.. ويجيش خيالها بآلاف الأخطار..

ولم يتحرك (فيكس) من مكانه.. ولكنه ظل مستيقظًا قلقاً.. وجاء فى لحظة ما رجل.. وقال له شيئاً.. ولكن (فيكس) أجابه ببساطة:

- كلا وهكذا مرت الليلة.. وأشرقت الشمس فى سماء رمادية.. علها تشرق الآن فوق (فيلياس فوج) والجنود الذين ذهبوا فى اتجاه الجنوب.. ولكن لا شيء يمكن أن يرى فى اتجاه الجنوب سوى الثلج..

***

أصبح قائد المحطة قلقاً جداً الآن.. لا يدرى ما الذى يفعله.. هل يجب أن يرسل سرية ثانية لمساعدة الأولى؟.. وأخيراً.. نادى أحد ضباطه وأعطاه الأوامر بإرسال بعض الرجال نحو الجنوب.. ولكن عندها كانت قد وصلت لآذانهم أصوات طلقات نارية.. هل كانت إشارة؟.. فانطلق الجنود مندفعين ليعرفوا الأمر.. فرأوا الجنود الآخرين عائدين..

كان مستر (فوج) على رأس السرية.. وكان بجانبه (باسبارتو) والمسافرون الآخرون بعد إنقاذهم من الهنود السيوكس..

لقد وقعت معركة بعد عشرة أميال جنوب كيرنى.. وقبل أن يصل الجنود كان (باسبارتو) ورفاقه الآخران قد بدأوا قتال الهنود الحمر الذين أسروهم.. كان الشاب الفرنسى قد أجهز على ثلاثة منهم.. عندما جاء سيده والجنود مندفعين لمساعدتهم..

وفى المحطة قام الجميع بالترحيب بالقادمين وانطلقت صيحات الفرح فى كل مكان.. وأعطى (فيلياس فوج) الجنود المكافأة التى وعدهم بها.. وقال (باسبارتو) لنفسه أكثر من مرة:

- لقد كلفت سيدى مالاً كثيراً بكل تأكيد!

ونظر (فيكس) إلى مستر (فوج) دون أن يتفوه بكلمة.. ومن الصعب التكهن بما دار فى ذهنه من أفكار.. وذهبت (عوده) إلى فيلياس فوج.. وأخذت يديه وضغطت عليهما دون أن تتفوه بكلمةٍ واحدة..

وعندما وصل (باسبارتو) إلى المحطة التفت من حوله باحثاً عن القطار.. لقد كان متوقعاً أن يراه متأهباً للتحرك إلى أوماها.. وكان يأمل أن يستطيعوا تعويض الوقت الذى فقدوه.. فصرخ:

- أين القطار؟

فأجاب (فيكس):

- ذهب..

فسأل فيلياس فوج:

- والقطار التالى؟

- لن يأتى قبل هذا المساء.. فلم يحر الجنتلمان جواباً!

38 عشرون ساعة تأخير

وجد (فيلياس فوج) نفسه متأخراً عشرين ساعة عن موعده.. وأخذ (باسبارتو) يؤنب نفسه بأنه هو السبب.. وفى هذه اللحظة توجه (فيكس) نحو مستر (فوج) وقال:

- هل أنت متعجل للذهاب حقاً؟

فأجاب (فيلياس فوج):

- طبعاً.

- هل تريد حقاً الوصول إلى نيويورك قبل الساعة التاسعة مساء اليوم الحادى عشر موعد مغادرة المركب إلى ليفربول..

- أجل..

- ولو لم تتوقف رحلتك بسبب الهجوم على القطار لكنت وصلت نيويورك صباح الحادى عشر؟

- حسن جداً أنك متأخر عشرين ساعة.. وبين اثنتى عشرة وعشرين يوجد فرق ثمانية.. يجب استعادتهم.. هل ترغب فى ذلك؟

- على الأقدام؟

فأجاب (فيكس):

- كلا.. على زحافة.. على زحافة ذات أشرع.. لقد قدم أحد الرجال واحدة لاستخدامها كان هذا هو الرجل الذى تحدث مع (فيكس) أثناء الليل ورفض (فيكس) عرضه..

لم يجب (فيلياس فوج).. ولكن (فيكس) أشار للرجل الذى كان يذرع المحطة ذهاباً وإياباً.. فذهب مستر (فوج) إليه.. وبعد برهة وجيزة ذهب (فيلياس فوج) وهذا الأمريكى.. الذى يدع مادج.. ودخلا كوخاً ليس بعيداً..

وهناك تفحص مستر (فوج) هذه الزحافة الغريبة كانت مصنوعة من الخشب.. واسعة وكبيرة بما يكفى لحمل خمسة أو ستة أشخاص.. وكان لها صارى مرتفع.. يحمل شراعاً ضخماً.. وفى مؤخرتها دفة توجه اتجاهات الزحافة.. إنها تشبه السفينة.. ولكن بدلاً من أن تسافر عبر الماء فهى تسير بشراعها على الثلج أو الجليد.. وفى خلال الشتاء.. عندما تتوقف القطارات بسبب الثلوج.. تستطيع هذه الزحافات أن تسير بسرعة عظيمة من محطة إلى أخرى..

وبعد دقائق تمت الترتيبات مع صاحب الزحافة.. كانت الريح فى صالحهم.. فهى تهب من الغرب وبقوة عظيمة.. وكان البردُ شديداً، ووعد دماج مستر (فوج) أن يأخذه إلى أوهاما فى ساعات قليلة.. وفى أوهاما توجد قطارات عديدة فى أكثر من اتجاه منها شيكاغو ونيويورك.. وبهذه الطريقة يمكن تعويض الوقت الضائع.. ولا يوجد أى سبب فى عدم تجربة هذه الخطة..

ولما كانت (عوده) لا تحتمل معاناة البرد الشديد.. فكر مستر (فوج) فى تركها مع (باسبارتو) بمحطة كيرنى.. ووعد الشاب الفرنسى أن يحضرها إلى أوروبا فيا بعد بالقطار والمركب..

ولكن (عوده) رفضت أن تبتعد عن (مستر فوج).. وكان (باسبارتو) سعيداً جداً بهذا القرار.. فهو أيضاً لا يرغب فى أن يترك سيده مع (فيكس) بمفرده..

كان من الصعب القول بما يفكر فيه (فيكس).. هل غير أفكاره عن مستر (فوج) عندما رأى هذا الجنتلمان يعود مرة أخرى.. أم مازال يفكر فيه على أنه شـخص ماكر يعتقد أنه بعد رحلته حول العالم سـيبقى آمناً فى إنجلترا؟ ربما يفكر الآن بشـكل أفضـل بخصوص (مستر فوج).. ولكنه على أية حال قرر أن يؤدى واجبه.. وكان قلقاً ويرغب فى الوصول إلى إنجلترا فى أقرب وقت..

***

وعند الساعة الثامنة كانت الزحافة جاهزة للإقلاع.. واتخذ المسافرون أماكنهم فيها وقد تغطوا جيداً وحموا أنفسهم من البرد.. وارتفع الشراع والرياح تهب من خلفه.. فطارت الزحافة للأمام بسرعة أربعين ميلاً فى الساعة!

كانت المسـافة بين كيرنى وأوماها.. فى خط مسـتقيم.. لا تتعدى المائتى ميل.. وإذا لم تتوقف الريح فمن الممكن أن تقطع هذه المسافة فى خمس ساعات.. وإذا لم يحدث أى حادث فسيصل المسافرون إلى أوماها فى الساعة الواحدة..

كانت رحلة باردة.. انكمش المسـافرون على بعضـهم البعض طلباً للدفء.. وازدادت البرودة مع السرعة.. فجعلتهم عاجزين عن الكلام.. وأخذت الزحافة تتزحلق على الجليد وكأنها زورق على الماء.. وعندما غابت الريح القوة.. بدت الزحافة وكأنها سترفع فى الهواء.. وحافظ مادج على الاتجاه الصحيح متحكماً فى الزحافة تماماً.. وقال:

- سنصل فى موعدنا إذا لم يحدث مكروه..

وكان من مصلحة مادج أن يصل إلى هناك فى الموعد.. لأن مستر (فوج) كالمعتاد قد وعده بمكافأة كبيرة..

كانت الأراضى التى يمرون بها منبسطة كالبحر.. وكانت تشبه بحيرة متجمدة.. شاسعة.. ولا يوجد أى شيء يعوق طريقها.. إلا إذا حدث أحد شـيئين هما: انكسـار أى قطعة منها أو انخفاض قوة هبوب الرياح.. ولكن الريح لم تهبط.. بل أخذت تقوى أكثر وأكثر.. حتى تسببت فى انحناء السارى.. ولكن الزحافة كانت متينة البناء لدرجة تؤكد عدم وجود أى خطر فى كسر أى جزء منها..

كان لـ(باسبارتو) الآن وجه أحمر مثل الشمس الغاربة.. وبدأ الأمل يراوده ثانيةً.. وبدلاً من الوصول إلى نيويورك فى الصباح.. فسيصلونها فى المساء.. ولكن أمامهم فرصة طيبة للحاق بالمركب.. وكان سعيداً جداً لأنه أصبح مستعداً لمصافحة (فيكس) واعتباره صـديقاً.. ولم ينس أن (فيكس) نفسـه هو الذى فكر فى الزحافة.. والتى كانت الوسـيلة الوحيدة للوصـول إلى أوماها دون تضـييع الوقت.. رغم ذلك لم يكن يثق فى (فيكس): إذ شعر أن المخبر السرى لا يزال مستعداً للقيام بخدعةٍ ما..

وهناك ما لا يمكن أن ينساه (باسبارتو) وهو رجوع مستر (فوج) لإنقاذه من الهنود.. ومعنى ذلك أنه عرض حياته وماله للخطر.. كلا.. إنه لن ينسى ذلك الرجل أبداً..

وعند السـاعة الثانية عشر رأى مادج أنه قد عبر نهر بلات.. ولم يقل شـيئاً.. ولكنه أصـبح متأكداً من أنه سـيصـل محطة أوماها بعد عشريـن ميلاً.. أخذت منهم سـاعة واحدة فقط.. وتوقفت الزحافة.. وأشـار مادج إلى بضـعة مئات من المنازل المغطاة بأسطحها بالجليد.. وقال:

- لقد وصلنا!

أجل.. لقد وصلوا حقاً.. لقد وصلوا إلى محطة تنطلق القطارات منها مرات كثيرة فى اليوم نحو الشرق..



39 من أوماها إلى نيويورك

قفز (باسبارتو) وكذلك (فيكس) من الزحافة سعداء لقد استطاعا أن يفردا سيقانهما ثانية بعد خمس ساعات بلا حركة.. وساعدا مستر (فوج) والشابة على النزول.. وأعطى (فيلياس فوج) المكافأة التى وعد بها مادج.. وصافحه (باسبارتو) وكأنه صديق قديم.. واندفعوا مسرعين إلى المحطة..

كان هناك قطار على أهبة الاستعداد للإقلاع.. وتمكن مستر (فوج) ورفاقه من اللحاق قفزًا إلى إحدى عرباته.. لم يشاهدوا أى شيء من أوماها.. ولكن (باسبارتو) لم يأبه بذلك.. فلا شيء يأسف عليه..

وركض القطار بسرعة عالية بأرض تفصلهم عن شيكاجو.. وفى اليوم التالى.. وفى الساعة الرابعة مساء وصلوا إلى هذه المدينة المشهورة.. التى أعيد بناؤها بعد الحريق الفظيع الذى دمرها منذ بضعة سنوات..

وتبعد شيكاجو عن نيويورك بتسعمائة ميل.. فكانت هناك قطارات كثيرة.. فمن كان من مستر (فوج) ورفاقه إلا النزول من قطارهم.. ومنه يخطون إلى القطار الآخر..

وزمجرت الماكينة بأعلى سرعتها وكأنها تعرف أن مستر (فوج) ليس لديه وقت يضيعه.. وأخذ القطار ينهب الأرض عبر ولاية إنديانا.. ثم أوهايو ثم بنسلفانيا.. ثم نيوجيرسى.. وكانوا أحياناً يمرون على مدن لم تُبنَ فيها أية منازل بعد..

وأخيراً رأوا نهر هدسن.. وفى الحادى عشر من ديسمبر.. وفى الساعة الحادية عشرة والربع توقف القطار بالمحطة الملاصقة لرصيف شركة البواخر..

***

كانت الباخرة «الصين» المتجهة إلى ليفربول قد غادرت قبل ثلاثة أرباع الساعة! ويبدو أن الباخرة «الصين» أخذت معها عند مغادرتها نيويورك آخر أمل لـ(مستر فوج)..

ولا توجد مركب أخرى تناسب خطته.. فالمركب الفرنسى ستغادر فى اليوم الرابع عشر أى بعد يومين.. والمركب الألمانى لن تذهب إلى ليفربول أو لندن.. بل سترسو فى ميناء فرنسى.. ولن يستطيع مستر (فوج) أن يصل لندن من هناك فى الموعد المطلوب.. باخرة واحدة.. ستبحر فى اليوم التالى.. ولكن لا فائدة فى التفكير فيها.. لأنها مركب بطيئة..

كان (باسبارتو) مقهوراً بخيبة الأمل.. بسبب تأخير لمدة ثلاثة أرباع ساعة! وأخذ يفكر بأنها كانت غلطته.. وبدلاً من أن يساعد سيده.. كان هو سبب تأخيره.. وعندما كان يفكر فى كل ما حدث خلال الرحلة من أول لندن.. ويفكر فى كل الأموال التى أُنفقت بلا فائدة.. وفى خسران الرهان.. كان يمتلئ بتأنيب الضمير..

ولكنه لم يسمع بأى تأنيب من (مستر فوج).. الذى قال ببساطة:

- حسنًا.. سوف نفكر فى الموضوع غداً..

وذهبت المجموعة إلى الفندق.. وكان مستر (فوج) هو الوحيد الذى نام..



40 مستر (فوج) يحاول العثور على سفينة

كان اليوم التالى هو الثانى عشر من ديسمبر.. ومن الثانى عشر الساعة السابعة صباحاً إلى الحادى والعشرين الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين مساء يتبقى تسعة أيام وثلاث عشرة ساعة وخمس وأربعون دقيقة..

وإذا كان مستر (فوج) قد أقلع فى الليلة الماضية على السفينة «الصين» التى هى من أسرع السفن لدى شركة البواخر.. لكان فى إمكانه أن يصل إلى ليفربول ثم لندن فى الموعد..

غادر (فيلياس فوج) الفندق بمفرده.. بعد أن قال لخادمه أن ينتظره.. على أن يخبر (عوده) على أن تكون مستعدة للسفر فى أية لحظة..

وذهب مستر (فوج) للميناء وتطلع إلى السفن التى تستعد للإقلاع.. فوجد أكثر من واحدة.. فلا يمر أى يوم على هذا الميناء الكبير.. إلا وتغادر مئات المراكب لكل أنحاء العالم.. ولكن معظمها مراكب شراعية.. وهذه لا تلائم (مستر فوج)..

وأخيراً لاحظ باخرة جميلة المنظر.. ودلت سحب الدخان المتصاعد من مدخنتها على أنها مستعدة للإقلاع.. فاستدعى فيلايس (فوج) زورقا وركبه وبعد دقائق قليلة وجد نفسه بجانب «هنريتا» باخرة حديدية وأجزاؤها العليا من الخشب..

***

كان قبطان «هنريتا» على ظهرها.. فصعد (فيلياس فوج) وطلب مقابلة قبطانها الذى جاء فى الحال.. كان فى نحو الخمسين من العمر.. رجلاً خشن المظهر.. غير مجامل.. ولم تكن عيناه الواسعتان.. ولا شعره الأحمر.. ولا جسمه الضخم يعطيه مظهراً مريحًا..

وسأل (مستر فوج):

- القبطان؟

- إننى هو..

- أنا (فيلياس فوج) من لندن..

- وأنا (أندرو سبيدى) من كارديف..

- هل سأقلع؟

- فى خلال ساعة..

- هل ستتجه إلى.. ؟

- بوردو..

- هل معك مسافرون؟

- كلا.. لا يوجد مسافرون.. أفضل البضائع.. فالبضائع لا تتدخل.. ولا تتكلم..

- سفينتك سريعة؟

- بين أحد عشر وإثنى عشر ميلاً فى الساعة.. إن هنريتا مشهورة بسرعتها..

- هل يمكنك أن تأخذنى إلى ليفربول أنا وثلاثة أشخاص؟..

- إلى ليفربول.. يمكنك أن تقول الصين!

- قلت ليفربول..

- كلا!

- كلا؟

- كلا.. إننى سأقلع إلى بوردو.. وسأذهب إلى بوردو..

- أليس يهمك معرفة الأجر؟

- لا يهمنى الأجر..

كان القبطان يتكلم بصوت يدل على عدم الفائدة فى مجادلته.. فأجاب فيلياس فوج..

- لكن من هم أصحاب الهنريتا؟

فأجاب القبطان:

- أصحاب الهنريتا هم أنا.. السفينة تخصنى.. وهى ملكى!

- سوف أستأجرها منك..

- كلا..

- سوف أشتريها منك..

- كلا..

واحتفظ (فيلياس فوج) بهدوءه.. ولكن كان الموقف كان خطيراً.. والوضـــع مختلفاً فى نيويوروك عنه فى هونج كونج.. وكذلك التعامل مع قبطان الهنريتا ليس مثل التعامل مع قبطان التانكادير.. وحتى الآن.. كانت نقود الجنتلمان دائماً قادرة على قهر كل المصاعب.. ولكن هذه المرة فشلت النقود..

كانوا لا يستطيعون عبور الأطلسى جواً بطبيعة الحال.. فسيكون ذلك خطيراً جداً.. علاوة على أنه مستحيل.. ولذلك يجب العثور على طريقة لعبور المحيط الأطلسى بسفينة.. ومع ذلك بدا أن (فيلياس فوج) لديه فكرة.. لأنه قال للقبطان:

- حسن.. هل تأخذنى إلى بوردو؟

- كلا.. حتى لو دفعت لى أربعين جنيهاً!

- سأدفع لكل أربعمائة جنيه..

- لكل شخص؟

- لكل شخص..

- وأنتم أربعة أشخاص؟

- أربعة..

ولم يعرف القبطان سبيدى كيف يفكر.. كانت الألف وستمائة جنيه التى سيكسبها بدون شك تجعله يعمل على تغيير أية خطط.. تستحق أن تنسيه كراهيته للركاب.. وعلاوة على أن كل واحد منهم سيدفع أجراً قدره أربعمائة جنيه لا يمكن اعتبارهم ركاباً عاديين.. ولكنهم بضائع قيمة.. فقال القبطان سبيدى ببساطة..

- إننى أغادر الساعة التاسعة.. وستكون أنت وقومك هنا.. أليس كذلك..

فأجاب مستر (فوج) ببساطة..

- سوف نكون فوق السفينة عند الساعة التاسعة..

كانت الساعة الثامنة والنصف.. وقام الجنتلمان الإنجليزي بالنزول من الهنريتا.. وا ستئجار عربة! ليعود بها إلى الفندق.. ويأخذ من هناك عوده.. و(باسبارتو).. وحتى مستر (فيكس) الذى تفضل ودعاه بالسفر معهم.. وقام بكل ذلك بالهدوء الذى لم يفارقه أبداً حتى في أشد المواقف حرجاً..

وعند لحظة استعداد الهنريتا للإبحار.. كان الأربعة فوق السفينة.. وبعد ساعة مرت السفينة من نهر هدسن.. وأثناء عبورها النهر أبحرت على طول لونج إيلاند ثم خرجت إلى البحر المفتوح..

41 تغيير القبطان

فى الساعة الثانية عشرة من اليوم التالى.. الثالث عشر من ديسمبر.. صعد رجل إلى منصة الربان.. وبدأ يلقى بالأوامر إلى الضابط.. مبينًا بدقة الاتجاهات التى يجب أن تسير عليها السفينة..

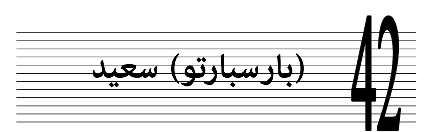
من المفروض بكل تأكيد أن يكون هذا الرجل هو القبطان سبيدى.. ولكنه لم يكن كذلك.. فقد كان فيلياس فوج! أما القبطان سبيدى.. فكان محبوساً فى كابينته ويزمجر غاضباً.. ولم يكن هذا مستغرباً وكان ما حدث بسيطاً جداً.. كان (فيلياس فوج) يريد الذهاب إلى ليفربول.. ولم يسمح له القبطان بذلك.. ثم وافق (فيلياس فوج) أن يدفع للذهاب إلى بوردو.. وأثناء الثلاثين ساعة التى قضاها على السفينة أنفق نقوداً بحدق وحكمة.. حتى أن الضابط.. والرجال الذين يكرهون القبطان أصبحوا تحت إمرته.. وهكذا أصبح (فيلياس فوج) سيد السفينة وقبطانها الفعلي.. بعد حبس القطبان فى كابينته.. بدأت الهنريتا تشق طريقها تجاه ليفربول وليس بوردو.. وعند مشاهدة مستر (فوج) وهو يقود السفينة.. يمكن الجزم بأن كان بحاراً فى يومٍ ما.. والآن.. ما نهاية هذه المغامرة.. لا يمكن لأحد أن يعرف!

ولكن على أية حال.. شعرت (عوده) بقلق شديد إزاء ذلك.. رغم أنها لم تقل شيئاً.. أما (باسبارتو) فوجد الأمر بكل بساطة رائعاً!

فقد قال القبطان سبيدى أن سرعة سفينته بين أحد عشر واثنى عشر ميلاً فى الساعة..

وإذا لم يضطرب البحر.. وإذا لم تهب الرياح من الشرق.. وإذا لم يحدث حادث للسفينة.. فستقطع الهنريتا فى التسعة أيام.. أى من الثانى عشر إلى الحادى والعشرين.. مسافة الثلاثة آلاف ميل التى تفصل بين نيويورك وليفربول..

وخلال الأيام الأولى ساروا فى ظروف طيبة بصفة خاصة.. فالريح لم تكن عاصفة.. وكانت تهب من الاتجاه السليم.. وكانت الأشرع مرفوعة.. والتى بها تبحر الهنريتا فى سرعة أية باخرة عادية..



42 (بارسبارتو) سعيد

كان (با سبارتو) سعيدا جداً جداً.. ولكنه كان يفضل ألا يفكر فيما قد يحدث بعد ذلك.. ولم ير الضباط ولا البحارة رجلاً أكثر مرحاً ولا أكثر حيويةً منه.. لقد كون صداقات مع البحارة والذين كان ينعتهم بأحب الأسماء.. ويقدم لهم جميع أنواع المشروبات الجيدة.. وكان يعتقد بأنهم يسيرون السفينة مثل الرجال الأفاضل والبواسل.. وعكس سعادته على الآخرين.. فجعل الآخرين يشعرون بسعادة كسعادته.. ولقد نسى الماضى بمشاكله.. ومخاطره.. أخذ يفكر فقط فى النهاية.. التى كانت قريبة جداً.. وأحياناً يصبح فاقد الصبر بشكل مزعج..

أما (فيكس).. فيجب القول.. أنه لم يفهم أى شيء على الإطلاق.. الاستيلاء على الهنريتا.. شراء ضباطها وبحارتها.. تصرف (فوج) كبحار متمرس.. كان هذا كبيرًا جداً عليه.. ولم يدر كيف يفكر.. ولكن.. على كل.. فالرجل الذى بدأ بسرقة خمسة وخمسين ألف جنيه يمكن أن ينتهى بسرقة سفينة.. كان يعتقد.. بالطبع.. أن (فوج) لن يذهب إلى ليفربول إطلاقاً.. ولكن إلى مكانٍ ما فى العالم حيث يمكن للص أن يعثر على ملاذ أمن يطمئن إليه..

كان هذا الافتراض يبدو أكثر معقولية.. وبدأ (فيكس) يشعر بالأسف لمشاركته فى هذا العمل من البداية..

أما بالنسبة للقبطان سبيدى.. فظل يزأر فى غرفته.. وحتى إن (با سبارتو) الذى كان عليه أن يقدم له طعامه.. وكان يفعل ذلك بحرص شديد.. رغم قوته العظيمة..

***

وفى الثالث عشر مروا بالقرب من جزيرة نيوفوندلاند.. وهذا الجزء من الأطلسى فى منتهى الخطورة.. وهنا.. خصوصاً فى فصل الشتاء.. يكثر الضباب.. فكانت توجد علامات على أن الطقس سيتغير.. وأثناء الليل اشتدت البرودة.. وفى نفس الوقت بدأت الريح تهب من الجنوب الشرقى..

كان هذا نوعًا من سوء الحظ.. وأنزل مستر (فوج) الأشرعة خوفاً من الإنحراف عن الاتجاه السليم.. واعتمد أكثر على البخار.. ولكن السفينة سارت ببطء أكثر بسبب حالة البحر.. وأخذت الأمواج العالية تتكسر على جسم السفينة فتجعلها تترنح بعنف.. وأخذت الريح تقوى وتقوى.. حتى تحولت إلى عاصفة عنيفة ولكنها ليست خطيرة.. وظل (باسبارتو) خائفاً جداً لمدة يومين.. ولكن (فيلياس فوج) كان بحاراً جسوراً.. يعرف كيف يحافظ على سير السفينة فى مواجهة البحر الهائج.. وكانت الهنريتا عندما تتمكن من الصعود مع الموج.. وتمر من فوقه.. ينسكب الماء ويتدفق عبر السفينة من أولها إلى آخرها..

هذا ولا زالت العاصفة كما هى لم تشتد لتصبح خطيرة.. إذ لم تكن من العواصف التى تهب الرياح فيها بسرعة تسعين ميلاً فى الساعة.. ولكن لسوء الحظ.. كانت الريح تهب طول الوقت من الجنوب الشرقى.. ولذلك لم تستخدم الأشرعة..

وكان اليوم السادس عشر من ديسمبر هو اليوم الخامس والسبعين منذ إقلاعهم من لندن.. لم تكن الهنريتا متأخرةً بشكل خطير.. فلقد انتهت من نصف العبور.. ولقد مر أسوأ جزء من الرحلة.. وكانت هذه الرحلة إذا تمت فى الصيف.. فالنجاح كان مؤكداً.. غير أنهم فى الشتاء.. ويتوقف نجاحهم على الطقس.. ولم يقبل (باسبارتو) شيئاً.. وكان الأمل يداعب قلبه وهو يفكر:

- إذا لم نستطع الاعتماد على الريح.. فنستطيع الاعتماد على البخار!!

***

والآن.. صعد رئيس المهندسين من باطن السفينة وقابل مستر (فوج) وأجرى معه حديثاً جاداً.. وبدون أن يعرف السبب.. شعر (باسبارتو) بنوع من الخوف.. ولكنه استطاع أن يلقط بضعة كلمات مما قاله سيده:

- هل أنت متأكد مما تقول؟

فأجاب الآخر:

- أنا متأكد يا سيدى.. لا تنس أننا منذ أن أقلعنا وجميع نيراننا مشتعلة.. لقد كان لدينا فحم يكفينا للذهاب بالطريقة العادية من نيويورك إلى بوردو.. إلا أننا ليس لدينا ما يكفينا.. هذا بالإضافة إلى أننا ذاهبون من نيويورك إلى ليفربول..

فأجاب (مستر فوج):

- سوف أفكر فى الموضوع..

فهم باسبارو.. وأُصِيبَ بذعرٍ شديد.. الفحم على وشك أن ينتهى.. وقال لنفسه:

- أه!.. إذا تمكن سيدى من التغلب على هذه المشكلة.. فسيكون رجلاً مدهشاً بكل المقاييس!

ولم يستطع إخفاء ذلك عن (فيكس).. الذى علق قائلاً:

- إذن.. هل تعتقد أننا ذاهبون إلى ليفربول؟

- أعتقد ذلك طبعاً..

فأجاب (فيكس) وهو يبتعد عنه:

- أحمق!

والآن.. ما الذى سيفعله فيلياس فوج.. من الصعب التكهن.. ولكن يبدو أن هذا الجنتلمان الهادئ قد قرر ورسم خطةً ما؛ لأنه أرسل ذلك المساء إلى المهندس وقال له:

- احتفظ بنيرانك مشتعلة.. واحتفظ بالسير فى نفس الاتجاه حتى لا يتبقى شيء من الفحم..

وحوالى الســاعة الثانية عشرــ طلب (فيلياس فوج) (باســبارتو) وأمره بالذهاب وإحضــار القبطان (ســبيدى).. لم يكن (باسبارتو) يحب أن يقوم بذلك.. وهبط إلى أسفل وهو يقول لنفسه:

- بالتأكيد سأجده مجنوناً تماماً!

وبعد بضـعة دقائق صـعد رجلٌ مجنون على ظهر السـفينة يصرـخ ويزمجر.. أنه القبطان سـبيدى.. وبدا وكأنه سـينفجر.. وكانت أول كلمات يتلفظها فى حالة غضبه الشديد هى:

- أين نحن؟

ثم قررها فى زمجرة ثانية:

- أين نحن؟

فأجاب مستر (فوج) بهدوئه العظيم:

- سبعمائة وسبعين ميلاً من ليفربول..

فصرخ أندرو سبيدى:

- لص!

- لقد أرسلت لك يا سيدى..

- سارق!

واستطرد (فيلياس فوج) قائلاً:

- سيدى.. لقد أرسلت لك لأطلب منك أن تبيع لى سفينتك..

- كلا!

- سوف أحرقها..

- تحرق سفينتى!

- على الأقل الجزء الخشبى.. فليس لدينا فحم يكفى لإتمام الرحلة..

فصرخ القبطان سيبدى.. الذى كان غضبه يلجم لسانه عن الكلام:

- تحرق سفينتى! سفينة تساوى عشرة آلاف جنيه!

فقال فيلياس فوج.. وهو يقدم النقود إليه:

- (فأخرج رزمة من النقود) هاك اثنى عشر ألف جنيه!

وكان نتيجة هذا العرض أن جعلت (أندرو سبيدى) ينسى غضبه.. من (مستر فوج).. كانت سفينته عمرها عشرين سنة.. ولا بد أن هذا يعتبر سعراً مغرياً له.. واستفسر فى صوت ناعم غريب:

- وهل يمكننى الاحتفاظ بما يتبقى من السفينة بعدما تحترق الأجزاء الخشبية؟

- أجل.. فكل الجزء الحديدى سيظل لك..

- أوافق

وأخذا (أندرو سبيدى)النقود ودفع بها فى جيبه..

وخلال هذا الحديث تحول وجه (باسبارتو) إلى اللون الأبيض.. ينفق مستر (فوج) اثنى عشر ألف جنيه.. ومع ذلك سيعيد للبائع الجزء الحديدى كله من السفينة.. الذى هو أهم ما فى السفينة..

وعندما وضع أندور سبيدى النقود فى جيبه.. قال له (مستر فوج):

- سيدى.. لا تدع ذلك يدهشك.. سوف أفقد عشرين ألف جنيه إذا لم أكن موجوداً فى لندن فى الحادى والعشرين من ديسمبر فى تمام التاسعة إلا ربعاً مساء.. ولم أستطع اللحاق بالباخرة الاعتيادية من نيويورك.. ولما رفضت أن تأخذنى إلى ليفربول..

فصاح (أندرو سبيدى) قائلاً:

- ولقد أحسنت برفضى هذا.. لأننى بذلك وضعت فى جيبى عشرة آلاف جنيه على الأقل..

فسأل فوج:

- والآن.. هل السفينة تعتبر ملكي؟

- طبعاً.. من قمتها إلى قاعها.. أو كما قلت.. كل الخشب..

- حسن جداً.. حطموا الخشب وضعوه فى النيران..

وفى اليوم التالى.. التاسع عشر من ديسمبر.. حرقوا الكثير من الأجزاء الخشبية للسفينة.. واشتغل الرجال بكل جهدهم.. واشتغل (باسبارتو) أكثر من أى شخص آخر..

وفى اليوم التالى.. اليوم العشرين.. تم حرق كل المنشآت الخشبية التى فوق ظهر السفينة.. ولكن فى هذا اليوم ظهر للعيان ساحل إيرلندا..

وفى الساعة العاشرة مساء كانت السفينة ترسو على كوينزتاون.. وكان أمام (فيلياس فوج) أربع وعشرون ساعة فقط للوصول إلى لندن.. وهذا هو الوقت الذى تحتاج الهنريتا للوصول إلى ليفربول.. ولم يعد باقياً إلا بخار قليل..

***

ثم قال القبطان سبيدى.. الذى أصبح مهتماً بخطة (مستر فوج):

- سيدى.. أننى فى الحقيقة آسف جداً من أجلك.. فكل شيء ضدك.. ومازلنا بعيدين عن كل مكان فيما عدا كوينزتاون..

فقال (مستر فوج):

- آه! هل هى كوينزتاون.. المكان الذى نرى منه الضوء؟

- أجل.

- هل يمكننا الدخول إلى الميناء؟

- ليس قبل ثلاث ساعات.. فقط عند ارتفاع الماء..

فأجاب (فيلياس فوج) بهدوء.. وبدون أن يظهر على وجهه.. بأنه سيحاول النجاح بوضع خطة أخيرة:

- فلننتظر..

كوينزتاون هى الميناء الذى تترك فيه البواخر القادمة من أمريكا حقائب الرسائل والخطابات.. التى تحمل إلى دبلن بواسطة قطارات سريعة دائماً مستعدة للإقلاع.. ومن دبلن ترسل إلى ليفربول بواسطة سفن سريعة جداً.. وبهذه الطريقة تصل إلى ليفربول فى اثنى عشر ساعة قبل أسرع السفن التابعة لشركات البواخر..

وكان (فيلياس فوج) ينوى الاستفادة بهذه الاثنى عشرة ساعة.. فبدلاً من الوصول إلى ليفربول بواسطة الهنريتا فى مساء اليوم التالى.. سيكون هناك حوالى الساعة الثانية عشرة.. وهذا سيكون لديه وقت كاف للوصول إلى لندن.. قبل التاسعة إلا ربعاً في المساء..

وحوالى الساعة الواحدة صباحاً وصلت الهنريتا ميناء كوينزتاون مع ارتفاع الماء .. وقام بتوديعه القبطان سبيدى بمصافحته بود عظيم بعد أن أعطاه ما بقى من السفينة والتى تساوى أكثر من نصف القيمة التى باعها بها!

ونزل المسافرون فى الحال.. وقفزوا فى قطار محطة كوبنزتاون فى تمام الواحدة والنصف صباحاً.. ووصلوا دبلن والشمس على وشك الشروق.. فذهبوا فى الحال صاعدين على ظهر إحدى تلك البواخر المشهورة بسرعتها العالية..

وعند الثانية عشرة إلا عشرين دقيقة من اليوم الحادى عشر من ديسمبر هبط (فيلياس فوج) فى ميناء ليفربول.. وكان الآن على بعد ست ساعات من لندن..

ولكن فى هذه اللحظة.. ذهب إليه (فيكس) ووضع يده على كتفه قائلاً:

- إسمك.. كما أعتقد.. فيلياس فوج..

- أجل..

- باسم الملكة.. أقبض عليك..

43 مستر (فوج) في السجن

وأصبح (فيلياس فوج) فى السجن.. لقد سجنوه فى مركز شرطة بـ(ليفربول).. ولا بد أن يقضى الليلة هناك.. وفى اليوم التالى سيأخذونه إلى لندن..

وفى لحظة القبض عليه حاول (باسبارتو) أن ينقض على المفتش السرى.. ولكن رجال الشرطة منعوه.. أما (عوده) التى فُجِعَت لما شاهدته.. فلم تستطع أن تفهم شيئاً.. ولكن (باسبارتو) شرح لها الأمر.. (مستر فوج).. هذا الرجل الشريف.. هذا الجنتلمان الذى كله مروءة.. والتى تدين له بحياتها مقبوض عليه لأنه لص.. فصرخت السيدة بأن هذا الاتهام مستحيل.. ولكنها رأت أنها لا يمكنها عمل أى شيء لإنقاذ الشخص الذى أنقذ حياتها..

أما (فيكس).. فلقد قبض على مستر (فوج) لأن هذا هو واجبه.. سواء كان مذنباً أم لا.. وعلى القانون أن يبت فى الموضوع..

وعندئذ خطر فى ذهن (باسبارتو) فكرته المزعجة.. بأنه هو السبب بكل تأكيد فى هذا النحس.. وأهم شيء.. لماذا أخفى الأمر على (مستر فوج)؟ عندما أبلغه (فيكس) من يكون.. وما الذى سوف يفعله الآن.. لماذا لم يخبر سيده؟ فإذا كان سيده قد علم بما هو متهمٌ به لأمكنه بالتأكيد أن يثبت لـ(فيكس) بأنه غير مذنب.. وربما استطاع مستر (فوج) التوفير على (فيكس) مشقة تعقبه وتحمل نفقات السفر.. ومن فرط تفكيره فى حمقه لعدم قوله شيئاً.. أخذ الشاب المسكين يتألم.. بعد أن قهره تأنيب الضمير.. وانهمرت الدموع من عينيه.. وكان منظره مؤلماً..

ورغم البرد ظلت (عوده) و(باسبارتو) على رصيف الميناء.. ولم يغادرا المكان حيث يريدان رؤية مستر (فوج) ثانية..

لقد خسر مستر (فوج) كل شيء فى نفس اللحظة التى كان سيكسب كل شيء لقد وصل ليفربول فى الثانية عشر إلا عشرين دقيقة فى الحادى والعشرين من ديسمبر.. وكان أمامه حتى التاسعة إلا ربعا.. ليصل إلى نادى الإصلاح - أى تسع ساعات وخمس عشرة دقيقة - والرحلة إلى لندن كانت تستغرق ست ساعات..

كان أى شخص يمكن أن يرى مستر (فوج) فى مركز الشرطة.. سيجده في أي وضع غير جلوسه هادئًا هكذا جالساً على مقعد خشبى بدون غضب وفى سكينة تامة.. وظل على هذا الحال.. منتظراً.. لماذا ينتظر؟ هل لديه أى أمل فى النجاح؟

كان مستر (فوج) قد وضع ساعته بكل حرص على مائدة بجواره.. وأخذ ينظر إليها والوقت يمر.. ولم تخرج كلمة من فمه.. على أية حال.. فوضعه كان مزعجاً.. كان وضعه كالآتى:

كرجل شريف.. لقد خسر (فيلياس فوج) كل شيء وكرجل غير شريف.. فهو مقبوض عليه..

هل لديه أية فكرة للهروب من السجن؟ هل يعتقد أنه يمكن له الخروج؟ ربما.. لأنه فى لحظة مميتة سار حول الحجرة يتفحصها.. ولكن الباب كان مغلقاً بشكل محكم.. والنافذة غير قابلة للفتح.. وجلس ثانيةً وأخرج مفكرة جيبه.. وقرأ إلى السطر الذى كتب فيه هذه الكلمات:

- السبت الحادى والعشرون من ديسمبر.. ليفربول..

وأضاف:

- ثمانون يوماً ١١,٤٠ صباحاً..

ودقت الساعة الواحدة.. ولاحظ مستر (فوج) أن ساعته متقدمه عن تلك التى دقت بدقيقتين..

الساعة الثانية.. إذا أمكنه ركوب القطار الآن فسيمكنه الوصول إلى نادى الإصلاح قبل الموعد المطلوب .. فى التاسعة إلا عشرين دقيقة على الأكثر!!

44 إطلاق سراح مستر (فوج)

وفى الساعة الثانية واثنتين وثلاثين دقيقة.. سُمعت ضجة فى الخارج.. أصوات فتح أبواب.. وأمكنه سماع صوت (باسبارتو).. وصوت (فيكس)..

وانفتح الباب.. فرأى عوده.. و(باسبارتو) و(فيكس).. الذى ركض نحوه.. كان (فيكس) يلهث وكأنه سيفقد نفسه.. وشعره كان منكوشاً.. وأخذ يتكلم بصعوبة..

- سيدى.. سيدى.. أغفر لى.. غلطة.. شخص ما يشبهك.. لص.. قُبِضَ عليه منذ ثلاثة أيام.. أنت.. حر.. برئ!

أصبح (فيلياس فوج) حراً طليقاً.. فاتجه إلى المخبر السرى.. ونظر فى وجهه متأملاً.. ثم قام بالحركة السريعة الوحيدة التى قام بها فى حياته.. وطرح المفتش المنحوس أرضاً..

وانطرح (فيكس) على الأرض ولم يقل شـيئاً.. لقد نال مكافأته.. وخرج مسـتر (فوج) و(عوده) و(باسـبارتو).. والقوا بأنفسهم فى عربة.. وفى لحظات قليلة وصلوا محطة ليفربول..

سأل (فيلياس فوج) إذا كان يوجد قطار مسافر إلى لندن.. كانت الساعة الثالثة إلا عشرين دقيقة.. ولقد غادر القطار منذ خمس وثلاثين دقيقة.. فطلب فيلياس فوج.. عندئذ.. قطاراً خاصاً.

لقد كان يوجد عديد من القطارات مسـتعدة لمثل هذه الرحلات.. ولكن لا يمكن إنهاء الترتيبات فى الحال.. ولا يمكن للقطار الخاص أن يتحرك قبل الساعة الثالثة..

وفى الساعة الثالثة.. كان (فيلياس فوج) فى طريقه إلى لندن.. بعد أن قال شيئاً ما لسائق القاطرة بخصوص مكافأة معينة إزاء السرعة.. وكان فى صحبته السيدة الشابة وخادمه المخلص..

كان من الضرورى قطع المسـافة بين ليفربول ولندن فى خمس سـاعات.. كان هذا ممكناً إذا كان الخط غير مشـغول من أوله إلى آخره.. ولكن القاطرة اضطرت أن تتوقف لعدة مرات..

وعندما جاء القطار إلى محطة لندن.. كانت كل السـاعات تشـير إلى التاسـعة إلا عشر دقائق.. لقد أكمل (فيلياس فوج) رحلته حول العالم مع تأخير يقدر بخمس دقائق.. لقد خسر!!



وفى اليوم التالى.. اندهش الناس الذين يسكنون فى سافيل رو عندما علموا بعودة مستر (فوج) إلى بيته.. كانت الأبواب والنوافذ كلها مغلقة.. وكان المنزل يبدو خاوياً طوال ثمانين يوماً..

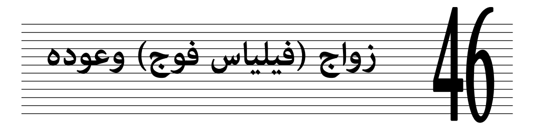
وعندما غادر (فيلياس فوج) المحطة.. أعطى أوامره لــــ(باسبارتو) ليشترى ما هو ضرورى للأكل.. وذهب إلى البيت.. لقد استقبل الضربة القاضية التى أصابته بهدوئه المعتاد.. لقد فقد كل شيء وكان هذا سبب غلطة من مفتش الشرطة.. وبعد أن أنجز بنجاح ما كان يأمل فيه.. رغم كل الصــعاب والمخاطر.. وكان أمامه وقت فائض لينهى مســيرته بكل راحة واطمئنان.. ويفشل فى اللحظة التى يصل فيها إلى نهاية رحلته.. ويفشل بسبب لا يمكن أن يتوقعه أبداً.. وليس بسبب خطأ منه.. يا له من أمر جلل.. ولقد أتى على معظم المبلغ الكبير الذى أخذه معه.. وكان كل ما يمتلكه فى الدنيا هو مبلغ العشرين ألف جنيه الموضوعة فى البنك.. وهذا المبلغ مدين به لأصدقائه فى نادى الإصلاح.. كما أنه قد أنفق كل هذا المبلغ من المال على رحلته بلا طائل..

ولكنه كان قد اتخذ قراره.. ويعرف ما سوف يفعله!

لقد تم ترتيب حجرة فى منزل سافيل رو على أن تصبح جاهزة من أجل (عوده).. التي كانت فى غاية التعاسة.. وخافت من كلمات معينة سمعتها من مستر (فوج) أنه قد يفكر فى إنهاء حياته.. ولهذا السبب أخذ (باسبارتو) يراقب سيده عن كثب..

ومَرَّت الليلة.. وذهب مستر (فوج) إلى فراشه.. ولكنه لم ينم؟..

أما (عوده) فلم تستطع أن تنام للحظة واحدة.. بينما (باسبارتو) كان كالكلب المخلص يراقب باب سيده طوال الليل..!



فى الصباح التالى نادى مستر (فوج) على (باسبارتو).. وطلب منه أن يهتم بإفطار (عوده).. كما طلب المعذرة لعدم تمكنه من الجلوس معها.. لإعطاء كل وقته لتنظيم شئونه.. ولن يخرج من حجرته.. ولكن فى المساء سيطلب لقاء (عوده) للتحدث معها..

وكان على (باسبارتو) أن يحمل هذه الأوامر ويبلغها لعوده.. وتطلع إلى سيده ولم يستطع مغادرة الحجرة.. لقد كان قلبه مثقلاً باتهامه لنفســه أكثر من أى وقت للنهاية الحزينة لهذه المغامرة.. أجل.. لو كان قد حذر ســيده بخصــوص خطط (فيكس).. لما كان مستر (فوج) قد أحضر المفتش معه إلى ليفربول.. وعندئذ صرخ قائلاً:

- سيدى! (مستر فوج).. اللوم كله علىَّ أنا.. أنا من أخطأت..

فأجاب (فيلياس فوج) فى أهدأ صوت:

- إننى لا ألوم أحداً.. أذهب ..!

وذهب (باسبارتو) إلى (عوده) وبلغ الرسالة فقالت له:

- أيها الرفيق الطيب.. لا تترك سيدك بمفرده.. ولا لحظة واحدة.. هل تقول أنه يريد أن يرانى هذا المساء؟

- أجل.. أعتقد بأنه يريد أن يقوم ببعض الترتيبات لحمايتك فى إنجلترا..

فقال عوده:

- إذن.. فلننتظر..

وخلال النهار.. كان المنزل يبدو خاوياً.. لا يسـكنه أحد.. ولم يذهب (فيلياس فوج) إلى النادى.. ولماذا يذهب إلى النادى.. ورفاقه القدامى هناك لم يكونوا يتوقعون مجيئة.. طالما لم يظهر فى النادى مساء أمس الساعة التاسعة إلا ربعاً.. وبذلك يكون قد خسر الرهان..

وسـأل (مسـتر فوج) عند السـابعة والنصـف مسـاء إذا كانت (عوده) يمكن أن تراه.. وبعد بضـعة دقائق كانا فى الحجرة بمفردهما..

ولم يقل شيئاً لمدة خمس دقائق.. ثم قال رافعاً عينيه:

- هل تغفرى لى إحضارك إلى إنجلترا؟ عندما خطرت لى فكرة إحضارك لانتزاعك من البلد التى أصبحت خطراً عليك.. كنت غنياً.. وكنت أتوقع أن أقدم لك نصيباً من ثروتى.. وحياتك كانت ستصبح سعيدة وطليقة.. والآن.. أنا فقير..

فأجابت السيدة الشابة:

- إننى أعرف يا (مستر فوج).. وسأطلب منك أن تغفر لى أننى تبعتك.. ومن يدرى.. فربما كنت أحد أسباب هذا الفشل؟

- كان لا يمكن أن تظلى فى الهند.. ولكى تكونى فى مأمن كان من الضرورى أن تهربى..

فاستمرت قائلة:

- إذن يا (مستر فوج).. لم يكن كافياً أن تنقذنى من الموت بهذه الطريقة المخيفة.. بل أجبرت نفسك لتهتم بمستقبلى..

- هذا ما يجب.. ولكنى كنت سيء الحظ.. على أية حال.. فخططى هى أن أعطيك القليل من الذى بقى لى..
- ولكنك أنت يا (مستر فوج).. ماذا ستفعل؟
- إننى لست فى حاجة لأي شيء..
- ولكن هل تعرف ما ستفعله؟
- سأفعل ما هو صائب لكى أفعله..
- على كل حال.. فرجل مثلك لن يكون فى حالة حقيقية مطلقاً.. فأصدقاؤك..
- ليس عندى أصدقاء..
- إذن.. أنا آ سفة لك يا (مـستر فوج).. لأنه من المحزن أن تكون بدون أ صدقاء.. ويقال إن المـصيبة يمكن تحملها عندما يوجد اثنان يتقاسمان حملها..
- هكذا يقال..

ثم قالت وهى تنهض وتمد يدها إليه:

- هل تقبلنى كصديقة؟ هل تقبلنى كزوجة؟

عند هذه الكلمات نهض (مستر فوج).. وأغلق عينيه للحظة.. وعندما فتحهما ثانية قال:

- إننى أحبك.. أجل أحبك.. وأنا لك!

ونادى (باســبارتو) فى الحال.. فجاء ورأى ســيده ممســكاً بيدى (عوده) ففهم.. وامتلأ وجه بالفرح.. وطلب منه (مســتر فوج).. إذا لم يكن الوقت متأخراً عليه أن يذهب إلى القس صمويل ويلسون فى الحال للقيام بترتيبات الزواج..

فابتسم (باسبارتو) وقال:

- إن الوقت ليس متأخراً على الإطلاق..

كانت الساعة الثامنة وخمس دقائق فقط فأردف قائلاً:

- سيكون ذلك غداً.. يوم الإثنين؟

فسأل مستر (فوج) متطلعاً إلى عوده:

- غداً يوم الاثنين!

فأجاب:

- غداً.. يوم الاثنين.. ؟

وركض (باسبارتو) خارج المنزل..

47 في نادي الإصلاح

في مساء ذلك اليوم السبت اجتمع الأصدقاء الخمسة بنادى الإصلاح فى الساعة الثامنة.. وعندما أشارت الساعة إلى الثامنة وخمس وعشرين دقيقة.. نهض اندرو ستيورات وقال:

- يجب على مستر (فوج) أن يكون هنا فى خلال عشرين دقيقة وإلا سيخسر الرهان.. ويصل القطار التالى الساعة الثانية عشر وعشرة دقائق بعد منتصف الليل..

فقال أندرو ستيوارت:

- حسن أيها السادة.. إذا كان (فيلياس فوج) قد أتى فى قطار السابعة وثلاثة وعشرين دقيقة لكان بيننا الآن.. يمكننا أن نقول ونحن مطمئنين إننا كسبنا الرهان..

فقال أحدهم:

- يجب أن ننتظر.. أنت تعلم أن مستر (فوج) رجل يحافظ على المواعيد بدقة.. فهو لم يأت بعد أو قبل موعده مطلقا.. وإذا جاء إلى هذه الحجرة فى اللحظة الأخيرة.. فلن أندهش..

فقال أندرو ستيوارت:

- أما بالنسبة لى.. فحتى لو رأيته.. فلن أصدق ذلك.. لقد تاه بكل تأكيد.. فالباخرة «الصين» وهى الباخرة الوحيدة التى يمكنه أن يكون قد أتى عليها من أمريكا وصلت ليفربول بالأمس.. وها هو كشف بأسماء ركابها.. ولا يوجد اسم (فيلياس فوج) بينهم.. ويخيل لى أنه لم يصل حتى لأمريكا بعد.. سيتأخر عشرين يومًا على الأقل..

وقال آخر:

- هذا أكيد.. سوف نذهب غدا إلى البنك ونستلم المبلغ..

وأشارت الساعة إلى التاسعة إلا عشرين دقيقة.. فقال أندرو ستيورات:

- باقى من الزمن خمس دقائق..

- وتطلع الأصدقاء الخمسة إلى بعضهم البعض.. وربما كانت قلوبهم تدق أسرع قليلاً من المعتاد.. لأن هذا الرهان كان على مبلغ كبير من المال.. حتى على هؤلاء المعتادين على المراهنة.. وقال أندرو ستيوارت:

- لن أتنازل عن الأربعة آلاف جنيه نصيبى.. ولا عن جنيه واحد منها..

فى هذه اللحظة أشارت الساعة إلى التاسعة إلا ست عشرة دقيقة.. دقيقة واحدة و سيكسبون الرهان.. فبدأوا يعدون الثوانى..

وفى الثانية الأربعين لم يحدث شيء.. وفى الثانية الخمسين لم يحدث شيء وفى الثانية الخامسة والخمسين سمعوا ضجة كالرعد خارج الحجرة.. إنها أصوات صياح..

وفي الثانية السابعة والخمسين.. انفتح باب الحجرة.. وقبل أن يشير عقرب الساعة إلى الثانية الستين.. ظهر (فيلياس فوج) متبوعاً بعدد كبير من الناس الذين اقتحموا المبنى بالقوة.. وقال بصوته الهادئ المعتاد:

- إننى هنا أيها السادة!!!





أجل! إنه (فيلياس فوج) نفسه..

وما حدث أنه عند الساعة الثامنة وخمس دقائق بعد حوالى خمس وعشرين ساعة من وصول المسافرين إلى لندن.. أرسل مستر (فوج) (با سبارتو) للقس صمويل ويلسون لعمل الترتيبات اللازمة للزواج الذى سيتم فى اليوم التالى.. فذهب مملوءاً بالسعادة والفرح..

لم يكن القس صمويل ويلسون قد وصل منزله بعد.. لذا فقد انتظر (باسبارتو) بطبيعة الحال.. وظل منتظراً عشرين دقيقة على الأقل..

وكانت الساعة الثامنة وخمس وثلاثين دقيقة عندما غادر منزل القس.. لكن على كل حالٍ تركه.. كان شعره منكوشاً بلا قبعة.. يجرى ويجرى كما لم يجر من قبل مصطدماً بالناس..

وفى خلال ثلاث دقائق كان بالمنزل فى سافيل رو مرة أخرى.. وسقط فاقد النفس فى حجرة (مستر فوج).. ولم يستطع الكلام.. فسأله (مستر فوج):

- ماذا حدث؟

- سيدى!.. زواج.. مستحيل..

- مستحيل؟

- مستحيل.. غداً..

- لماذا؟

- لأن غدا.. الأحد !

فأجاب (مستر فوج):

- بل الإثنين..

- كلا.. اليوم.. السبت..

- السبت؟ مستحيل!

فصرخ (باسبارتو):

- أجل.. أجل.. أجل.. لقد أخطأت فى يوم.. لقد وصلنا لندن مبكراً بأربعٍ وعشرين ساعة.. ولكن أمامنا عشر دقائق فقط!

أخذ (باسبارتو) سيده.. وسحبه خارج الحجرة واندفع (فيلياس فوج) دون أن يكون لديه وقتًا للتفكير.. وغادر المنزل.. وقفز داخل عربة.. ووعد سائقها بمائة جنيه.. وبعد أن دهس كلبين واصطدم بخمس عربات أخرى.. وصل إلى نادى الإصلاح..

وأشارت الساعة إلى التاسعة إلا ربعاً.. عندما دخل الحجرة التى ينتظر فيها الأعضاء..

لقد قام (فيلياس فوج) برحلته حول العالم فى ثمانين يوماً.. وكسب (فيلياس فوج) الرهان.. بمبلغ عشرين ألف جنيه !!



49 اليوم الفرق

والآن.. كيف لرجل حريص مثله أن يقع فى مثل هذه الغلطة؟

كيف كان ذلك؟

كيف يظن أنه عاد مساء السبت الحادى والعشرين من ديسمبر.. بينما هو الجمعة العشرين من ديسمبر.. مضى تسعةٌ وسبعون يوماً فقط منذ أن غادر لندن..

وهذا هو السبب فى الخطأ وهو سبب بسيط:

لقد نفذ (فيلياس فوج) رحلته بالذهاب فى اتجاه الشرق.. وبينما هو مسافر فى اتجاه الشمس.. تصبح الأيام أقصر بأربع دقائق فى كل مرة يعبر فيها إحدى الدرجات الـ ٣٦٠ التى تنقسم إليها الارض.. وبمعنى آخر.. فبينما رأى هو الشمس تمر فوقه ثمانين مرة رآها أعضاء نادى الإصلاح تمر عليهم تسعاً وسبعين مرةً فقط.. وكان هذا هو سبب انتظار الأعضاء له فى ذلك اليوم الذى كان السبت لا الأحد.. وإذا كان قد سافر إلى الغرب.. لكان قد خسر يوماً فى الطريق.. ولكان قد وصل لندن متأخراً يوماً كاملاً..

***

فاز (فيلياس فوج) بالعشرين ألف جنيه.. ولكنه كان قد أنفق حوالى تسعة عشر ألف جنيه فى الطريق.. ومعنى هذا أنه حقق ربحاً ضئيلاً.. ومن الألف جنيه التى بقيت له أعطى نصفها لـ(باسبارتو) المخلص.. والنصف الآخر لـ(فيكس) المنحوس.. الذى لم يكن يحمل له أية ضغينة.. وفى ذلك المساء نفسه قال مستر (فوج) لعوده بهدوئه وبروده المعتادين:

- هل ما زلت ترغبين فى الزواج منى؟

فأجابت:

- (مستر فوج).. أنا التى يجب عليها أن تسألك هذا السؤال.. لقد كنت فقيراً.. والآن أنت غنى..

فقال:

- معذرة.. ولكن هذه الثروة تخصك أنت.. فإذا لم تعرض علىَّ فكرة الزواج منك.. لما ذهب خادمى إلى القس صمويل ويلسون.. ولما عرفت بخصوص غلطتى فى حساب اليوم الفرق.. و..

فقاطعته السيدة قائلةً:

- عزيزى مستر فوج..

فأجاب فيلياس فوج:

- عزيزتى عوده!

وتم الزواج بعد ذلك بثمان وأربعين ساعة.. واحتل (باسبارتو) وهو فى حالة مدهشة من السرور مكان الشرف بجوار السيدة فى الكنيسة..

وماذا كسب (فيلياس فوج) من هذه الرحلة؟

قد تقول:

- لا شيء..

حسن جداً.. لا شيء.. ما عدا زوجة جميلة محبة جعلت منه أسعد رجل في العالم.. ألا يستحق ذلك رحلة حول العالم ..؟!

فهرس الرواية

